مجلة جامعة حمص

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 48 . العدد 17

1448 هـ - 2026 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة حمص :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة حمص يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (600) ل.س ستمئة ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة حمص.**
2. **دفع رسم نشر (2000) ل.س الفا ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (150) ل.س مئة وخمسون ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
الصورة الفنيَّة في أدب التَّهديد في العصر الأمويّ	ياسر الأقرع أ.د. أحمد دهمان هند المحمد	34-11
الانزياح التركيبيّ في ديوان (رأس المُسافر) لسيف الرَّحبي	جيهان سعد بلال	56-35
بناء عظمة فرنسا في خطاب التّهنئة الموجّه إلى الأمّة: تحليل لخطابيّ إيمانويل ماكرون لعاميّ 2025 و 2026	نور ادلبي د. ورد حسن	94-57
فلسفة التربية وبناء الإنسان الهشّ في المجتمعات المتأزمة	بيداء بارود أ.د. غسان علاء الدين	116-95
الأفعال الكلامية في شعر نزار قباني	د. منال عبد القادر سعد الدين	148-117

الصورة الفنيَّة في أدب التَّهديد في العصر الأمويّ

إعداد: ياسر محمود الأقرع إشراف: أ.د. أحمد دهمان المشرف المشارك: هند جمال المحمد

الملخَّص:

يهدف بحث (الصورة الفنيَّة في أدب التَّهديد في العصر الأمويّ) إلى دراسة عناصر الصورة الفنّية التي تضمنها نصُّ التهديد في العصر الأمويّ (شعره ونثره)، بوصفها أداةً من أدوات التعبير والتأثير في المتلقي، ذلك أن الصورة لم تكن عنصراً تزيينياً في أدب التهديد، بل كانت سلاحاً نفسياً مهماً يعتمده المبدع لإلحاق الهزيمة النفسية في خصمه، ولإظهار نفسه بمظهر القوة والتفوق في المقابل، ولذلك كان بناء الصورة ينمّ على وعيٍ عميقٍ لدى المبدع بأهمية الكلمة في صناعة الأحداث وتوجيهها.

يسعى البحث إلى دراسة الصورة الفنيَّة في أدب التَّهديد في العصر الأمويّ وفق محاور ثلاثة:

- **تصوير قوة المهدِّد**
- **تصوير ضعف المهدَّد**
- **تصوير عواقب التَّهديد**

الكلمات المفتاحية: الصورة الفنيَّة، أدب التهديد، العصر الأموي، المهدِّد، عناصر الاتصال

The Artistic Image in Threatening Literature

in the Umayyad Era

Abstract:

This research, "The Artistic Image in Threatening Literature in the Umayyad Era," aims to study the elements of the artistic image contained in threatening texts (both poetry and prose) during the Umayyad era, considering them as tools of expression and influence on the recipient.

This is because the image was not merely a decorative element in threat literature rather it served as a significant psychological weapon employed by the author to inflict psycological defeat upon the opponent and conversely to project power and superiority Thus the construction of the image reflects the author' s profound awareness of the power of words in shaping and directing events.

The research seeks to study the artistic image in threatening literature in the Umayyad era according to three axes:

* **Depicting the power of the threatener**

* **Depicting the weakness of the threatened**

* **Depicting the consequences of the threat**

Keywords: Artistic image, threatening literature, Umayyad era, threat actor, element of communication.

مقدمة البحث:

لم تكن الصـــورة الفنيَّة في أدب التهديد في العصـــر الأموي مجرد عنصـــرٍ فنيٍّ تزيينيّ، بل تجاوزت ذلك إلى كونها وســيلةً من وســائل المهدِّد في التعبير عن المعنى، والإحاطة بالفكرة، والتأثير في المتلقي تأثيراً لا يستطيع عنصرٌ من عناصر الفنّ الأدبيّ، إلا الصورة، أن يبلغه أو يصل إليه.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من تخصيصه دراسة الصورة الفنيَّة في أدب التَّهديد في العصر الأمويّ دراســةً نقديةً تحليليةً تبيِّن الأثر الكبير الذي تركته الصــورة في التَّشــكيل الفنيِّ والمعنويِّ لأدب التَّهديد حتى يؤدي الرسالة المنوطة به فكرياً ونفسياً وفنياً.

هدف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

– بيان دور الصـور الفنية في أدب التهديد في العصـر الأموي بوصـفها وسـيلة من الوسـائل الفنية في إيصال رسالة المهدِّد والتأثير في متلقيه.

– تأكيد القيمة الفنية التي اتسمت بها الصورة في نصوص أدب التهديد (شعراً ونثراً).

الدراسات السابقة:

من الدراسـات السـابقة التي تتصـل بموضـوع البحث: "الصـورة الشـعرية في شـعر الأسـر والسـجن في العصــر الأموي" للباحث رمضــان عيد محمد بدر، وهو بحثٌ منشــورٌ في جامعة عين شــمس، كلية

التربية، لكنها دراسة اختصت بشعر الأسر، فضلاً عن أنها اتبعت منهجاً بلاغياً تقليدياً في تقسيم الصورة الفنية، في حين اعتمد هذا البحث تقسيماً جديداً يتناسب مع الغاية النفسية للصورة الفنية، ومن الأبحاث التي درست الصورة الفنية في أدب العصر الأموي أيضاً دراسةٌ بعنوان "بناء الصورة الفنية في شعر الحرب في العصر الأموي" للباحث علاء عبدالعزيز عودة، وهي دراسةٌ تعمقت في دراسة التشكيل الفني لشعر الحرب في العصر الأموي، ولكن كلتا الدراستين اختصت بدراسة الصورة الفنية في أدب من آداب العصر الأموي، لكن لم تخصص دراسة مستقلة للصورة الفنية في أدب التهديد.

منهج البحث:

سيعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي.

العرض والمناقشة:

تباينت طرق الدراسات الأدبية والنقدية في تناول الصورةِ الفنيةِ في الأدب القديم بعامةٍ، فمنها ما اعتمد التقسيم التقليديَّ لأنواع الصورة البيانيَّة إلى تشبيه واستعارة وكناية ومجاز. وهذه الدِّراساتُ –على أهميتها– تتعاملُ مع الصُّورة بطريقةٍ تشريحيَّةٍ تبيِّن أجزاءَها ومكوِّناتها من دون أن تغضَّ من القيمة الجمالية التي تضفيها الصورة على الفكرة المبتغاة، والمعنى المراد بعامةٍ.

وثمة تصنيفٌ آخر يُعنى بتقسيم الصُّورة إلى صورة حركيَّة، وأخرى لونيَّة، وثالثة صوتيَّة. وهذا لا يختلف في جوهره عن الطريقة الأولى من حيث هو تحليلٌ لمكوِّنات الصُّورة وجزئيَّاتها واتصال ذلك باللون أو الحركة أو الصوت، مع التَّعمُّق في الوظيفة الإيحائيَّة لكلٍّ منها.

بينما نجد تصنيفاتٍ أخرى تُعنى بتقسيم الصورة من حيثُ مصادرُها مبيِّنةً مدى ارتباط الصُّورة بالبيئة، وبالمرجعيَّة الثقافيّة للأديب، وهكذا...

وقد رأينا أن نتَّجه في بحثنا وجهةً مختلفةً في التَّقسيم، منسجمةً مع غرض التَّهديد، وغاياته الانفعالية المرهونة بلحظة الخطاب، وظروفه، انطلاقاً من أنَّ الصورة "طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجهٌ

من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنىً من المعاني من خصوصية وتأثير "[1]، وإنَّ هذا التعريف للصورة لا يغضُّ من قيمتها الجمالية ؛ لأن الغاية الأولى من التعبير هي الوصول إلى المتلقي فكراً وإحساساً، والصورة تجمع بين الأمرين في إطارٍ فنيٍّ مثيرٍ للمخيلة، محفِّزٍ للتصوُّر، وهي لا تكتسب قوتها، ولا تستمدُّ قيمتها إلا بالقدر الذي تخدم فيه المعنى وتضفي عليه بعداً جمالياً تأثيرياً، يلمسه المتلقي بإحساسه قبل أن يغوص في تفاصيله بعقله.

إنها ليست عنصراً تزيينيّاً جماليَّاً فحسب، بل " هي تعبيرٌ عن نفسية الشاعر ووعاءٌ لإحساسه وفكره، تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهريِّ؛ إذ تقدم عقدةً فكريةً وعاطفيةً في برهةٍ من الزمن [2]."

فإذا وقفنا على الصورة في أدب التهديد وجدنا أنها لَيست مجرَّد لَبنةٍ في بناء النَّصِّ، بل هي ركيزةٌ أساسيةٌ عليها يبنى التّأثير النفسيُّ للخطاب. وبقدرما يتحقق في الصّورة عامِلَا الإدهاش والجذب، تحقّق غايات الخطاب التّهديديِّ بصورته المُثلى.

ومن هنا فإننا درسنا الصورة الفنية وفقاً لمحاور ثلاثة مرتكزُها الأثرُ النفسيِّ الذي هو غاية الخطاب التهديدي، وهي:

- **تصوير قوة المهدِّد**
- **تصوير ضعف المهدَّد**
- **تصوير عواقب التَّهديد**

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1992م، ص323

(2) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني "منهجاً وتطبيقاً"، أحمد علي دهمان، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ط2، 2000م، ص142

ومنطلقنا في هذا التقسيم أركان عملية الاتصال الثلاثة: المرسِل (المهدِّد)، والمرسَل إليه (المهدَّد)، والرسالة (الرسالة التهديدية المباشرة المضمنة عواقب التهديد).

ولا يعني ذلك انفصال هذه الأنواع الثلاثة، فثمة نقاط تقاطع بينها في الصورة الواحدة أحياناً، غير أنَّ طغيان أحدها على الآخر هو الذي جعلنا نضعه في محوره، ونصنفه في بابه، غير أنها تتكامل معاً لتحقيق وظيفة التهديد، ونقله من مجرّد كلامٍ يقرع الآذان إلى واقعٍ مُتخيَّلٍ يستشعر المهدَّدُ خطره، ويراه ماثلاً أمامه.

المحور الأول: تصوير قوة المهدِّد

إبراز قوة المهدِّد وإثبات قدرته واستعراض إمكاناته التي تسوِّغ إطلاقه تهديده، وتمنحه الحق في ذلك، يعد جزءاً أساسياً في النص الأدبي المبني على فكرة التَّهديد، والأديب يحشد من أجل ذلك أدواته كلها من مفردات وتراكيب وأفكار وصور أيضاً.

ولأن الأديب في سعيه لإظهار قوته واستعلائه على خصمه لا يهدف إلى الإخبار فحسب، بل يحتاج إلى شحن المعنى بطاقة تعبيرية قادرة على منح الفكرة أعلى مستوى من التأثير، فإنه يعتمد الصورة الفنية بوصفها وسيلة شديدة التأثير من وسائله في إدراك غايته وتحقيق مراده وإنما يلجأ المهدِّدُ إلى الصورة الفنية لتصوير قوته وعلوِّ كعبه؛ لأنه يريد أن يتجاوز الإخبار وصولاً إلى التأثير النفسي في المهدَّد، فمما لا شك فيه أنَّ الصورة إضافة إلى الإخبار تمنح المعنى عمقاً أكبر في عقل المتلقي وبعداً في وجدانه ورسوخاً في مخيلته، فالصورة تتمتع بقدرة تكثيفية تأثيرية عالية تتجاوز بكثير ما تفعله الجملة الإخبارية.

يقول **زفر بن الحارث الكلابي**[1] مهدداً بني أمية بعد مقتل عبد الله بن الزبير مصوراً قوة قومه وشدة بأسهم:[2]

كذبتم وبيتِ الله لا تقتلونهُ ولمَّا يَكُن يَومٌ أغرُّ مُحَجَّلُ
ولمَّا يكن لِلمَشرفيَّةِ فوقَكم شُعاعٌ كَقَرنِ الشَّمسِ حِينَ ترجَّلُ

عندما أراد زفر أن يصف يوم الثأر الذي يهدد به عدوه استعار وصف الفرس الأصيل الذي يعلو جبهته بياض وفي قوائمه بياضٌ، وأراد بذلك أن يقول هو يوم يُعرَف من غيره، ويتميز من سواه من الأيام كتميز الفرس الأغرِّ المحجَّلِ من غيره، ثم ذهب يصف قوة سيوف قومه وشدتها مشبهاً لمعانها حين تهوي على رؤوس أعدائه بقرن الشمس، أي آخر ما يختفي منها عند الغروب، والمعنى هنا أنها تكون حمراء اللون فشبه السيوف القوية وهي تتلطخ بدماء أعدائه بطرف الشمس عند الغروب وقد مالت إلى الحمرة.

ويعمد الفرزدق[3] في تهديده (باهلة) إلى الكناية في تصويره قوة قومه عدةً وعتاداً، فيقول:[4]

أَبـاهِـلَ أَيـنَ مَـنـجـاكُـم إِذا مـا مَـلَأنـا بِـالـمُـلـوكِ وَبِـالـقِـبـابِ

---

(1) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي، أمير، من التابعين، من أهل الجزيرة الفراتية، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية. (ت75هـ). انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط15، 2002م، ج3، ص45

(2) شرح ديوان حماسة أبي تمام، لأبي العلاء المعري، دراسة وتحقيق: حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي،1411هـ/ 1991م، مج1، ص409 – 410

(3) الفرزدق: هَمّام بن غالب بن صَعْصَعَةَ المُجَاشِعِيُّ الدَّارِمِيُّ التَميميُّ، يكنى أبا فراس، وسُمِي بالفرزدق لأنه شُبِّه وجهُه – وكان مدوراً جَهماً– بالخبزة، شاعر من النبلاء من أهل البصرة (ت110هـ). انظر: معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، 1379هـ/1960م، ص465. الأعلام، للزركلي، ج8، ص93

(4) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1407هـ – 1987م، ص33. الملوك: المقصود هنا السادة والأشراف والقادة من ذوي المكانة العالية من قبيلتهم. القِباب: الخيام ذات القباب، كناية عن كثرة العدد، ووجود السادة في معسكر الجيش. خندف: اسم يدل على مجموعة من القبائل العربية تنحدر من جد واحد (إلياس بن مضر).

تِـهـامَـةَ وَالـبِـطـاحَ إذا سَـــــدَدنـا بِخِنـدِفَ مِن تِهـامَـةَ كُـلَّ بـابِ

ما كان لإخبار الفرزدق بكثرة فرسان قومه أن يؤدي ما أدته الكناية في بيتيه السابقين من التأثير في نفس المتلقي، فالكناية تكثيف لغوي تصويري يدفع المتلقي إلى إعمال المخيلة ليبلغ ما أراده الشاعر من رسالته.

ويهدد **أعشى همدان**[1] الحجاجَ بن يوسف بجيش عبد الرحمن بن الأشعث (وكان الأعشى معه) فذهب في تصوير قوه الجيش مذهباً يرهب به الأعداء ويبعث فيهم الرعب، فقال:[2]

ســـــارَ بجمعٍ كـالـدَّبَى من قَحطـانْ ومـن مـعـدٍّ قـد أتـى ابـن عـدنـانْ

بِـجَـحـفـل جـمٍّ شـــديـدِ الإرنـانْ فـقـل لـحـجَّـاج ولـيّ الشـــيـطـانْ

شبه الأعشى جيش عبد الرحمن بن الأشعث بالجراد كثرةً وأثراً، فأسراب الجراد إذا ما هاجمت حقلاً أتت على كل شيء فيه، فجمع بين عظم عدد الجيش وقوة فتكه. وربما تعمَّد الأعشى أن يجعل تشبيهه مجملاً حتى يترك للمتلقي أن يستجمع في مخيلته كل ما من شأنه أن يُشَكِّل تشابهاً بين الجيش والجراد، وقد يخطر في بال المتلقي ما لم يخطر في بال الشاعر نفسه، ويخدم الفكرة التي أرادها الأعشى وحشد لها أدواته الفنية كلها. ثم لما أراد أن يصور تسليح هذا الجيش كنى عن ذلك بقوله (بجحفل شديد الإرنان) أي: كثير الضوضاء والجلبة، ولا يكون هذا إلا في جيشٍ جاء مدججاً بالأسلحة.

(1) أعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني: شاعر اليمانيين بالكوفة، وفارسهم في عصره، خرج على الحجاج مع عبد الرحمن بن الأشعث، ووقع في يد الحجاج أسيراً فضرب عنقه سنة (83هـ). انظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص312

(2) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت/ لبنان، مج6، ص337. الدَّبى: الجراد. الإرنان: الضوضاء والجلبة.

وكذلك عندما أراد **الفرزدق** تصـوير قوة قومه شـبَّههم بالجراد الكثير المنتشـر حتى بدوا كظلام الليل لكثرتهم:[1]

ولـو نـفـربتَ بـقـيـسٍ لاحـتـقـرتـهـمُ إلـى تـمـيـمٍ تـقـودُ الـخـيـلَ والـعَـكَـرا
وفـيـهـم مـائـتـا ألـفٍ فـوارسُـــهُـم وحَرشَـــفٌ كَجُشـــاء اللَّيـلِ إذ زَخَرا

اسـتثمر الفرزدق في صـورته هذه ما يعرف عن هجوم الجراد من كثافة عالية، وقدرته على أن يترك المزروعات خلفه هباءً منثوراً، فجمع بهذا التشـبيه بين الكثرة والقوة، ليكون ذلك أدعى لبثِّ الذُّعر في الخصم المهدَّد.

وكثيراً ما كان المهدِّدُ في استعراضه قوته أو قوة قومه يشبه نفسه وقومه بالأسود، وهي صورة تقليدية ما زال الشعراء يتداولونها منذ أن كان هناك شعر.

يقول **الفرزدق** في تهديده **جريراً**[2] مشبهاً نفسه بالأسد:[3]

هِـزَبْـرٌ تَـفـادَى الأُسْـــدُ مـن وَثَـبَـاتِـهِ لـــهُ مَرْبِضٌ عنـه يَحِيـدُ المســـافرُ
إذا مـا رأتْـهُ الـعـيـنُ غُـيِّـرَ لـونُـهـا لـــهُ، واقْشَـــعَرَّتْ مـن عَـرَاهُ الـدَّوَائِـرُ

---

(1) ديوان الفرزدق، مصدر سابق، ص203. العكر: الواحدة عكرة، القطعة من الإبل. الحرشف: الجراد المنتشر، شبَّه به الرجّالة لكثرتهم. جشاء الليل: جيشان ظلمته واشتدادها.

(2) جرير بن عطية بن حذيفة (الخَطَفي) الكليبي اليربوعي التميمي. كان يكنى بأبي حَزرة، واحد من كبار الشعراء في عصره ، ولد في اليمامة ومات فيها (110هـ).

انظر: الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تح: الدكتور إحسان عباس/ الدكتور إبراهيم السعافين/ الأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 1429هـ / 2008م، ج8، ص5. الأعلام، الزركلي، ج2، ص119

(3) ديوان الفرزدق، مصدر سابق، ص183. شالت بي: نهضت بي. القروم، الواحد قرم: الفحل، السيد. الهوادر، الواحد هادر: الذي يردد صوته في حنجرته. الحفيظة: الشيء الذي ينبغي أن يحافظ عليه.

في استعارته التصريحية هذه يختار الفرزدق عند تصويره نفسه بالأسد اسم (هزبر) بالإفراد، ثم يصور أقرانه بـــــ(الأُسْـد)، وفي ذلك ما فيه من دلالة الاختلاف والتفرد، على الرغم من اتفاق الصـورة في المضمون. إضافة إلى ما حمله قوله (تفادى الأُسد من وثباته) من معاني التفوق والاستعلاء والمهابة التي يروع بها المهدِّد خصومه.

ويقول **الأخطل**[1] مهدداً كعب بن جعيل:[2]

يـا كعـب لا تهجونَّـا العـامَ معترضـــاً فـإنَّ شِـــعـركَ إن لاقـيـتـنـي غَـرَرُ

إنِّي أنـا الليـثُ في عِرِّيســـةٍ أَشِـــبٍ فَوَرِّعِ السَّـــرْحَ حتى يَفسَـــحَ البَصَـــرُ

اختار الأخطل في تهديده كعباً التشـبيه البليغ مصـوراً نفســه ليثاً، وهذا النوع من التشـبيه هو الأكثر بلاغة، وأشـــد وقعاً، وأعظم أثراً من الأنواع الأخرى، وبه أراد الأخطل أن يكفَّ خصـــمه عن التورط بمهاجاته من خلال إثارة الرهبة في نفسه من خلال هذه الصورة.

ومما جاء من غريب التصـوير في معرض التَّهديد ما قاله **جرير** في وصـفه سـلاح قومه إن مُنِعوا من السلاح، إذ قال:[3]

فـإن تـمـنـعـوا منَّـا السِّـــلاحَ فعنـدنـا ســـلاحٌ لنـا لا يُشـــترى بـالـدَّراهِمِ

جـــلامـــيـــدُ أمـــلاء الأكـفِّ كـــأنـــهـــا رؤوس رجـال حـلـقـت بـالـمـواســـمِ

(1) الأخطل: غياث بن غوث بن الصَّـلت بن الطَّارقة التغلبي، و(الأخطل) لقب يعني: السَّـفيه. من كبار شـعراء العصـر الأموي، وكان نصـرانياً. (ت92هـ). انظر: الأغاني، الأصفهاني، ج8، ص201

(2) ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2، 1414هـــ - 1994م، ص192. الغرر: غرير لم يكتمل بعد. العريسة: الشجر ذو الشوك. الأشب: الملتفّ. ورع: احبس. السرح: ما سرح من الماشية للرعي. . وكعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي: شاعر تغلب في عصره، مخضرم، عرف في الجاهلية والإسلام، وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام. شهد صفين مع معاوية وفخر بذلك في أشعاره، (ت55هـ). انظر: معجم الشعراء المرزباني، ص233 . الأعلام، الزركلي، ج5، ص225-226

(3) ديوان جرير (بشرح محمد بن حبيب)، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف/ مصر، ط3، (د.ت)، ج3، ص1040

فهم إن منعوا من حيازة السلاح فإنَّ سلاحهم الذي سيقاتلون به هو أحجار ملساء بحجم قبضة الكفِّ تشبه في حجمها وصقلها وملاستها رؤوس الرجال حين يحلقون شعورهم في المواسم، وهذه صورة لا تخلو من الغرابة والطرافة في آنٍ معاً!

ومن بديع ما جاء في إظهار القوة وإثبات القدرة والتمكن ما جاء في خطبة **الحجاجِ بن يوسف الثقفي**[1] الشهيرة في قوله: "**ما يُقَعْقَعُ لي بالشَّنَانِ، ولا يُغْمَزُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ التِّيْنِ**"[2]، كناية عن أنه ليس ممَّن يُجرَّب وتُختبَر قوته وتُمتَحن جديته في أخذ الناس بالشدة، كما يُختبَر التين بالضغط عليه لمعرفة مقدار نضجه، وهذه الكناية عالية المستوى تعبيراً وتصويراً وتأثيراً.

وقوله: "**إِنَّ أميرَ المؤمنينَ أطالَ اللهَ بقاءَه نَثَرَ كِنَانَتَهُ بينَ يَدَيْهِ، فَعَجَمَ عِيدَانَها، فَوَجَدَنِي أَمَرَّها عُودًا وَأَصْلَبَها مَكْسَرًا، فرماكم بي**"[3] فقد أسهمت الكناية هنا في إظهار القوة وشدة البأس، ولكن بإبراز دليلها، حين شبه الحجّاج نفسه بأصلب عيدان الكنانة، وأمرِّها.

ويأتي **مروان بن محمد**، آخر الخلفاء الأمويين بتشبيه تمثيليٍّ فذٍّ يصور من خلاله مقدار قوته وصلابته، جاء به في رسالته مهدِّداً بعض الخوارج: " **إنّي وإياك كالزجاجةِ والحَجَر، إن وقع عليها رضَّها، وإن وقعت عليه فضَّها**".[4]

---

(1) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد، داهية، سفاك، خطيب. كان على جند عبد الملك بن مروان في قتاله عبد الله بن الزبير، ولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف والعراق.(ت95هـ). انظر: الأعلام، للزركلي، ج2، ص168

(2) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1352هـ/ 1933م، ج2، ص275– 277. بالشَّنَانِ: جمع "شَنّ"، وهي القِرَب البالية التي جفت وتكسرت، أي: لا أخاف من التَّهديدات الفارغة، التي تشبه صوت القرب البالية عند تحريكها. يُغمز: يُطعنُ فيه، أو يمسه بسوء. تَغْمَازِ التِّيْن: أي الضغط الخفيف عليه ليُعرَف مقدار نضجه.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص275 – 277. فُرِزْتُ: صُقِلتُ واختُبِرت. كنانته: جعبة السِّهام. عجمَ: اختبر. أمرها: أشدها مرارة وقوة. أصلبها مكسراً: أصعبها كسراً.

(4) من نثر الدُر، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدَّم لها وعلَّق عليها: مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997م، السفر الثاني، ص52–53

ومن تصـوير الأدباء قوتَهم وتمكُّنَهم واسـتعلاءهم على خصـومهم ما جاء في تصـوير قصـائد الهجاء بالنار أو السُّم أو الصواعق أو مطر العذاب... وغير ذلك. وكلها صور تعكس رغبة الشاعر بتصوير ما يمتلك من أدوات قادرة على هزيمة الخصم والتغلب عليه.

يقول **الفرزدق** مشبهاً قصائد هجائه بالنار :[1]

قَد كنتُ أنذرتكمْ حَربي إذا اســـتعرتْ نـيـرانـهـا هِـيَ نـارٌ تَـقـذِفُ الشَّـــررا

ويشبه **جرير** هجاءه خصومه بالسم في إشارة إلى قوة تأثيره:[2]

أَعْـدَدْتُ لـلشُّـــعراءِ كَـأســـاً مُـرَّةً عِنْـدي مُخَـالِطُهـا السِّـــمـامُ المُنْقَعُ

ومن تصوير مظاهر قوه المهدِّد وصف الشاعر هجاءه بالصواعق، كقول **جرير**: [3]

أَعَـدَّ الـلَـهُ لِـلشُّـــعَـراءِ مِـنّـي صَـــواعِقَ يَخضَـــعونَ لَها الرِقابا

إذاً، عمل الشعراء والخطباء في تصويرهم قوتهم وشدة بأسهم واستعلاءهم على خصومهم على استحضـار صـور مألوفة متداولة، وهي – تشـبيهاً واسـتعارةً وكنايةً – في معظمها صـور تقريرية تفتقر إلى الإيحاء، وتخلو من الإدهاش، ولم تأتِ بجديد مما لم يســـتهلكه الأدباء في أعمالهم، وبذلك فقدت الصورة الفنية بفعل تكرارها عنصراً مهماً من عناصر تأثيرها، فالصورة "لا بدَّ لها من لون من الطزاجة والجدة؛ لأن القوة التعبيرية تضعف وتتلاشى في معظم الأحيان بالتكرار".[4]

(1) ديوان الفرزدق، مصدر سابق، ص203

(2) ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ألفه ورواه: أبو عبيدة مَعْمَرُ بنُ المثنى، شرحه وعلق عليه: محمد التونجي، دار الجيل/ بيروت، 1422هـ/ 2002م، مج3، ص196

(3) ديوان جرير، مصدر سابق، ج3، ص819. جعل جرير الفعل (خضع) متعدياً، وهذا جائز.

(4) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م، ص321

المحور الثاني: تصوير ضعف المهدَّد

بقدرما حرص الأديب في تهديده خصـــومه على إظهار قوته وجبروته، واســـتعراض أدواته استعراضـاً يشـبه الاسـتعراض العسـكري الذي يهدف إلى إرهاب الخصـوم، وبث الخوف في نفوسـهم، حرص أيضـاً على إظهار ضـعف خصـمه وقلة حيلته وهوان أمره عليه، في محاولة منه هزيمةَ خصـمه نفسياً وإفقاده الثقة بنفسه، والتهوين من قدرته على المنازلة أو المقاومة.

وقد اتكأ الشـاعر في ذلك اتكاءً واضـحاً على الصـورة الفنية التي، كما أسـلفنا، تتجاوز الإخبار المحض إلى التأثير النفســـي بإعمال الخيال تهويلاً وتعظيماً لقوة المهدِّد، وتحقيراً للخصـــم وحطّاً من مكانته وإظهاراً لضعفه.

يقول **الأخطل** مصوراً ضعف خصمه وقلة حيلته:[1]

أيـوعـدنـي بـكـرٌ، وَيَـنْـفُـضُ عُـرْفَـهُ؟ فـقـلـتُ لـبـكـرٍ: إنـمـا أنـت حـالـمُ

يشـبه الأخطل خصـمه بطائرٍ ضـعيفٍ لا حول له ولا قوة غير أنه ينفض عُرفَه، وكأنه يتهيأ لخوض معركة كبيرة، وهو أكبر عجزاً من أن يفعل، كما تنفض الحبارى عرفها للصـــقر تتوعده ولا يدَ لها به، وهذه الاسـتعارة المكنية التي بنيت عليها الصـورة الحسـية إنما اسـتمد الشـاعر عناصـرها من الطبيعة فصوَّر حالة العجز التي يخفيها الخصم خلف قناع ادعاء القدرة والبطولة.

ومما جاء في تصوير ضعف المهدَّد ما قاله **الزَّغْلُ الجَرْمِيّ** مهدِّداً بني أمية، مؤكداً أنهم لا بدَّ سيمرون بحالة ضعفٍ، وعندها سينقض الأزد عليهم. يقول:[2]

أبـعـد قـتـيـلـيـنـا بـمـروٍ تـعـدُّنـا تميمٌ نســـينـا أو تزَجِّي لنـا نصـــرا

فنحن مع السَّـــاعي عليكم بســـيفـهِ إذا نـحـن آنســـنـا لـعـظـمِـكـمُ كســـرا

(1) ديوان الأخطل، مصدر سابق، ص331. الثرية: الكثيرة. الغلصمة: الجماعة والعدد.

(2) ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، مج1، ص549

كنَّى الشاعر عن حالة ضعفهم بـــ(كسر العظم)، وهي صورة شديدة الوقع على المهدَّد؛ لأن من يُكسَر عظمه لا شك سيكون في أقصى حالات ضعفه وقلة حيلته، فكيف إذا ما استغل خصومه حالة ضعفه هذه فانقضوا عليه!؟

ويبدع **الأخطل** في تصوير ضعف خصمه كعب بن جعيل فيقول:[1]

يـا كعـب لا تهجونَّـا العـامَ معترضـــاً فـإنَّ شِـــعـركَ إن لاقـيـتـنـي غَـرَرُ

قـد جئـتَ تحمـل رأســـاً غير مُلْتَئِمٍ كمـا تـحـامـلَ، فـوقَ الـقُـنَّـةِ، الأمَـرُ

شـبه الأخطل رأس خصـمه فوق جسـده بحجارة جمعت كالعَلَم فوق الجبل، أي يوضـع بعضـها فوق بعض فلا تكون ثابتة مستقرة، وبذا يصور حالة الضعف واهتزاز الثقة بالنفس عند الخصم، مستخدماً أركان التشبيه كلها في تصويره هذا.

ويصـور **الفرزدق** ضـعف بني كليب (قوم جرير) وقد تجرأ شـاعرهم على هجائه، وهم أضـعف من أن يستطيعوا تحمل تبعات ذلك. يقول:[2]

وإنَّ بـنـــي كُـلَـيـبٍ، إذ هـجـونـي، لَـكَـالـجِـعـلانِ إذ يَـغشَـــيْـنَ نـارا

تصـوير قوم جرير بتجرئهم على هجائه بالدُّويبة التي تغشـى النار لتحرق نفسـها تصـوير بالغ الدقة، ففيه تصوير لقوته إذ شبه نفسه بالنار وتحقير قوة خصمه إذ جعله مجرد (دويبة). وهذه الدويبة إضافة إلى ضعفها وحقارتها، تتصف بالحمق إذ تندفع بكل قوتها إلى احتراقها وفنائها.

(1) ديوان الأخطل، مصـدر سـابق، ص192. غرر: لم يكتمل بعد (مفردها: غرير). القنة: المرتفع. الأمَرُ: حجارة توضـع فوق بعضـها تحدد معالم الطريق.

(2) ديوان الفرزدق، مصدر سابق، ص307. الجعلان: دويبة

وإلى مثل ذلك ذهب **الأخطل** في تحقير خصـــومه في معرض تهديدهم بالهجاء، فشـــبه قوم النابغة الجعدي بالخنافس التي تسير في الليل:[1]

خـنـافـسُ أَدْلَـجـتْ لـمـبـيـتِ سَـــوءٍ وَرِثـــنَ فِـــراشَ زانـــيـــةٍ وزانـــي

ولمَّا أراد **الأخطل** أن يصف قوم جرير بالضعف والهوان في معرض تهديده بالهجاء، قال:[2]

كـلَّ الـمـكـارمِ قـد بـلـغـتُ، وأنـتـمُ زَمَـعَ الـكـلابِ مـعـانِـقُـو الأطـفـالِ

شبه الأخطل قوم جرير بالشَّعر الذي ينبت على أرجل الكلاب، وهو تشبيه بليغ، بلغ الأخطل به منتهى التحقير والاســـتخفاف بقوم جرير، ثمَّ كنَّى عن قعودهم عن طلب المكرمات والســـعي إلى المجد بمعانقتهم أطفالهم، أي ملازمتهم بيوتهم إلى جانب أولادهم وزوجاتهم.

لقد كان الأدباء أكثر إبداعاً في تصـويرهم ضـعفَ المهدَّد مما رأيناه في تصـويرهم قوة المهدِّد، إذ تفننوا في تصويرهم ذلة الخصم وقلة شأنه في حضرتهم، غير أنَّهم في الحالين تداولوا صوراً بعينها، مستمدة في مجملها من عناصر البيئة التي عاشوا فيها، وأدركوا عناصرها، وألفوا مفرداتها.

(1) ديوان الأخطل، مصدر سابق، ص346. العوارم: الكلام الخبيث الرديء. واعتلاجه: ازدحامه وتراكم بعضه على بعض. أدلجت: سارت ليلاً.

(2) المصدر نفسه، ص260. زمع، مفردها زمعة: الشعرات التي على أرجل الكلاب.

المحور الثالث: تصوير عواقب التَّهديد

بعد وقوفنا على تصوير المبدع قوته وسطوته بوصفه مهدِّداً، وتصويره هشاشةَ خصمه وضعفه وهوانه بوصفه مهدَّداً، لا بدَّ لنا من الوقوف على تصوير عواقب التَّهديد استكمالاً للأركان الثلاثة التي يقوم عليها النَّص الأدبي: (المرسل – المتلقي – الرسالة).

لقد حرص المبدع في تهديده على أن يضع المهدَّد أمام الحالة التي ستؤول إليها الأمور في حال نفَّذ تهديده. واستخدم في سبيل ذلك أدواته الفنية المتاحة. ويقف على رأس تلك الأدوات: الصورة الفنية؛ لأنها تخلق عند المهدَّد حالة تخيلية تجسِّد أمامه مآلات الأمور كأنها أمر واقع أمام ناظريه، وهذا له كبير الأثر في بث الخوف في نفسه، مما يدفعه لتجنيب نفسه الوصول إلى هذا المصير – الذي يبدو حتمياً – إن هو لم يسعَ جاهداً في تفاديه بإزالة أسبابه.

يقول **جرير** في تهديده الأخطل التغلبي:[1]

ألم ترَ يا أُخَيطلُ حربَ قيسٍ تُمِرُّ إذا ابتغيتَ لها العِلالا

إذا لم تَصحُ نشوتُكم فذوقوا سيوفَ الهند والأسَلَ النهالا

يهدد جرير خصمه بحربٍ شديدةٍ، سبق أن عرفها وعرف أن معاودتها سيجعلها أشد مراراً، ثم يصوِّر لخصمه كيف سيكون حال حربه معهم مشبهاً هذه الحرب بالخمرة التي تجعلهم في نشوة، لكنَّها سكراتُ موتٍ لأنهم لن يتذوقوها من كؤوس الخمر بل من السيوف القاطعة، والرماح التي تنهل من دمائهم، فجعل للسيوف والرماح طعماً كالشراب، وكنى بذلك عن القتل والموت.

ومن غريب التصوير، وغريب الأخبار في معرض التَّهديد قول **قتيبةَ بن مسلم** مهدداً سليمان بن عبد الملك: "**لأخلعنَّكَ خلع النَّعل**" [2]، فقد شبه قتيبة خلع سليمان من الخلافة بخلع النعل من الرِّجْل، فجمع

(1) ديوان جرير، مصدر سابق، ج3، ص751. تمرُّ: تصبح مرَّة. العِلالا: الشربة الثانية بعد الشربة الأولى وهي كناية عن المواجهة الثانية. الأسل: الرماح. النهال: التي تنهل من دمائكم، وتشرب منها.

(2) ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، مج1، ص530.

بذلك معنى سهولة خلع سليمان وعزله من الخلافة، وبين الامتهان والتحقير وتقليل الشأن، وإنَّ جَعلَ هذا المصير ماثلاً أمام المهدَّد بهذه الصورة القاسية لهو ذروة التَّهديد ومنتهاه.

وفي تصوير عواقب التَّهديد يقول **الأخطل** في تهديد الجحاف بن حكيم:[1]

أَجَحَّافُ، إن تصْطكَّ يوماً فَتَصْطدِمْ عليكَ أواذيُّ البُحور الذَّواخرِ

تَكُنْ مثلَ أقذاءِ الحَباب الذي جرى به الماء أو جاري الرِّياح الصَّراصرِ

هذه الصورة المشهدية تصور بطريقة مدهشة حالة عواقب التَّهديد، فالأخطل الذي يهدد بحرب ستضرب خصمه كضرب الأمواج الشديدة في البحر الهائج ستحول الخصم شبيهاً بما يقع في الماء من الأوساخ أو التبن أو الذباب. ولن يكون هذا الخصم إلا كنفَّاخات تعلو الماء وتحركها الريح كيفما شاءت. إن تشبيه اصطدام جيش الأخطل بخصومه بالأمواج الشديدة، وما سينتج عنه من تحويل العدو إلى نثار لا قيمة له ولا وزن، أدعى إلى بث الذعر في نفس خصمه، وقد رسم الأخطل صورته بدقة وإبداع قلَّ نظيرهما.

وأما **سعد بن ناشب**[2] فقد صوَّر عواقب التَّهديد بصوره جميلة حين وصف سيوف قومه وشدتها، ثم صوَّر عاقبة تهديده بأن هذه السيوف إذا سُلَّت فإن أجساد بني بكر ستكون غمداً لها، فجعل أجساد الخصوم أغماداً في تشبيه بليغ عالي الدقة، شديد الوقع على نفس المهدَّد.

(1) ديوان الأخطل، مصدر سابق، ص130. تصطك: تضرب. الأواذيّ: جمع آذيّ، وهو الموج. الأقذاء: جمع قذى، وهو ما يقع في الماء من التبن أو وسخ أو ذباب. الحباب: نفّاخات تعلو الماء.

(2) سعد بن ناشب من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي، كان سعد من مَرَدَة العرب وفتّاك بني تميم بالبصرة. انظر: شرح ديوان حماسة أبي تمام، لأبي العلاء المعري، م1، ص64 . الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، 1377هـ/1958م، ج2، ص696

يقول:[1]

فـإنَّ أســـيـافـنـا بـيـضٌ مـهـنـدةٌ عـتـقٌ وآثـارهـا فـي هـامـكـم جـدُدُ

وإن هويتم ســـللنـاهـا فمـا غمـدت إلا وهـامُ بـنـي بـكـر لـهـا غـمـدُ

إن تشبيه الشاعر أجساد أعدائه بالغمد للسيف تشبيه مثير للذعر في نفوسهم، فاستحضار صورة السيف حال دخوله الغمد كاملاً، ومقاربتها بجعل جسد العدو غمداً لذلك السيف، لا شكَّ أنها صورة مؤثرة جداً.

ويأتي **الجحَّاف بن حكيم**[2] في رده على اســـتفزاز الأخطل بصـــورة بلاغية فذَّة، يتحول فيها البكاء بالدموع تعبيراً عن الحزن إلى بكاء بالسيوف والرماح، في تصوير بديع لعواقب التَّهديد، حيث يشير إلى قتل الخصم والقضاء عليه، منتَقِلاً من حالة الحزن إلى حالة الثأر.

يقول:[3]

نعم ســـوف نبكيهم بكـل مهنـدٍ ونبكي عميرًا بـالرمـاح الخـواطرِ

شبه الجحاف الدموعَ بالسيف، في استعارة تصريحية بديعة، فمنح صورته زخماً فنياً عالياً، إذ لم ينفِ الحزن والبكاء على القتيل، لكنه أحال الضـــعف قوةً، واللوعة ثأراً، وبذا جسَّـــد الجحاف أمام ناظري خصمه عواقب تهديده إياه.

(1) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بَسج، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1414هـــ/1994م، ص400

(2) الجحاف بن حكيم السلمي: فاتك، ثائر، شاعر. كان معاصراً لعبد الملك بن مروان. غزا تغلب وقتل منهم كثيرين، فأهدر عبد الملك دمه، فهرب إلى الروم، وعاد بعد وفاة عبد الملك وقد أمَّنه الوليد بن عبد الملك. (ت90هـ). انظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص113

(3) الأغاني، الأصفهاني، ج12، ص146. الخواطر: النافذة.

والى مثل ذلك ذهب **عمران بن هلباء الكلبي** حين جعل البكاء بالسيوف لا بالدموع. يقول:[1]

سـنـبـكـي خـالـداً بِـمُـهـنَّـداتٍ ولا تَـذهَـبْ صَـنـائِـعُـهُ ضَـلالا

وفي صورة أخرى بديعة يقول **مُسَوَّر بن زِيَادَة الْحَارِثِيّ** مهدداً خصومه:[2]

فَلَا يَـدْعُنِـي قومِـي لـيَوْمِ كريـهـةٍ لَـئِـن لـم أُعَـجِّـلْ ضَـرْبَـةً أَو أُعَـجَّـلِ
أَنَخْتُمْ علينـا كَلْكَـلَ الْحَرْبِ مرَّةً فَـنـحْـنُ مُـنِـيْـخُـوهـا عَـلَـيْـكُـم بِـكَـلْـكَـلِ

شبه الحرب بالناقة فاستعار منها الكلكل وهو الصدر، وكذلك الإناخة، وأراد بذلك شدة الحرب وقوتها وثقلها، هكذا سيكون مآل الأمور بعد التَّهديد، وعواقبها بعد التحذير.

وفي تصويره عواقب تهديده يصور **القتَّال الكلابي**[3] قتل أعدائه بالخشب المقطوع فيقول:[4]

إنّـي لَـعَـمـرُ أَبـيـهِـم لا أُصـــالِـحُـهُـم حَتّى يُصـــالِحَ راعي الثَلَّـةِ الـذيـبُ
أَو تَنجَلي الخَيـلُ عَن قَتلى مُصَـرَّعَـةٍ كَـأَنَّـهـا خَشَـــبٌ بِـالقـاعِ مَقطوبُ

(1) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، مج7، ص235– 236

(2) شرح ديوان حماسة أبي تمام، لأبي العلاء المعري، مج1، ص175. الكلكل: الصدر، واستخدمه لما ذكر (أناخ)، ويعني شدة الحرب.

(3) القتال الكلابي: اسـمه عبد الله بن المُضَـرِّجيّ بن عامر الكلابي من بني ربيعة، والقتَّال لقبٌ غلب عليه لتمرُّده وفتكه. شـاعر، أدرك الجاهلية والإسلام وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. توفي حوالي سنة (70هـ). انظر: الأغاني، الأصفهاني، ج24، ص91–106

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م، ج2، ص60. الثَّلَّة: جماعة الغنم قليلة كانت أو كثيرة. القاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة. مقطوب: مقطوع.

ومن صـور عواقب التَّهديد ما حرص عليه شـعراء الهجاء من تصـوير أثر هجائهم في خصـومهم، وكانوا كثيراً ما ما يعبِّرون عن ذلك بـ(جدع الأنف)، يكنون عن الإذلال والإهانة إن هم لم يكفوا وينتهوا عن غيِّهم. إذ طالما كان شـموخ الأنف كنايةً عن الكِبَر والتعالي، ورمزاً للأنفة والعز[1]؛ لذا فقد ذهب الشـعراء في هجائهم إلى التفاخر بوسـم خصـومهم على الأنف أو جدعه، أو التَّهديد بذلك والتوعد به، في إشارة إلى إذلال المهجوّين وكسر شوكتهم.

يقول **الفرزدق**:[2]

لـولا عَـطِـيَّـةُ لاجْـتَـدعـتُ أنـوفَـكُـمْ مِـن بـيـنِ ألأمِ آنـفٍ وسِـبـالِ

إنِّـي كَـذاكَ إذا هـجـوتُ قَـبـيـلـةً جَـدَّعـتُـهـم بـعـوارمِ الأمـثـالِ

وكذلك يكني **جرير** عن إذلال خصومه بجدع أنوفهم، فيقول:[3]

هَـلَّا نَـهـاهـمْ تِسْـعَـةٌ قَـتَّـلْـتُـهـمْ أو أربـعـونَ حـدوتُـهـمْ فـاسـتَـجْـمَـعُـوا

خَصَّـيـتُ بعضَـهمُ، وبَعضٌ جُـدِّعوا فشـكـا الهَوانَ إلى الخَصِـيِّ الأجـدَعُ

(1) الشامخ: الرافع أنفه عزاً وتكبراً ، والجمع شُمَّخ . وقد شمخ أنفه ويأنفه يشمخ شموخاً: تكبَّر وتعظَّم. انظر: لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير/ محمد أحمد حسب الله/ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مج4، ص2321

(2) ديوان الفرزدق، مصدر سابق، ص495 – 496. السبال: اللحي.

(3) ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، مج3، ص196. حدوتهم: سقتهم جميعاً. استجمعوا: استجابوا لحدائي. جدعوا: جدعت أنوفهم.

ويقول **ذو الرمة**[1] مهدداً بالهجاء مصوراً عواقب تهديده:[2]

لَعَمري وَما عُمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَد نالَ أَصحابُ العَصا شَرَّ مَغنَمِ
فَإِنَّ لَم يَرُدّوها عَلَينا نَدَع بِهِم هِجاءً كَكَيِّ الناجِزِ المُتَلَوِّمِ
وَإِلّا يَدَعني عَرَجَلٌ أُنزِ عَرجَلا عَلى أُمِّهِ نَزوَ العَريضِ المُزَلَّمِ

فالشاعر في تهديده خصمه يصور له عواقب هذا التَّهديد، فيشبه قصائد هجائه بكيِّ البعير الذي فيه السُّعال، فجمع بين إيلام خصمه وتحقيره، ثم رفع سقف هذه العواقب فجعل خصمه جَدْياً ينزو على أمِّه.

وبذلك يتبين لنا كيف أسهمت الصورة الفنية في تكثيف الحالة الشعورية لدى المتلقي بعواقب التهديد، ما يجعله في حال ترقب وخوف من تنفيذ الشاعر وعيده.

ومع أنا اعتمدنا في تقسيم الصورة الفنية تقييماً ينطلق من عناصر الاتصال الثلاثة (مُرسِل – مُتَلَقٍّ – رسالة) لم يكن النصُّ الأدبي ليقوم تصويرياً على هذا الفصل الحاد في أداء فكرة التَّهديد، بل غالباً ما كان المهدِّد يعبر في عدة أبيات، أو بضعة سطور عن ذلك كله في سياق واحد، فيصور قوته مهدِّداً، وضعفَ خصمه مهدَّداً، وعواقب التَّهديد بوصفه (رسالة). غير أن إفراد كل عنصر على حدة كان يهدف إلى بيان الكيفية التي تعامل بها المهدِّد تصويراً مع كل عنصر من هذه العناصر،

(1) ذو الرمة: غَيلان بن عُقبة بن نهيس بن مسعود العدويّ، من مضر، ذو الرمة لقب، شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال. (ت117هـ). انظر أخباره في: الأغاني، الأصفهاني، ج18، ص5–34. الأعلام، الزركلي، ج5، ص124 .

(2) ديوان ذي الرُّمة (شرح الخطيب التبريزي) كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ/ 1996م، ص537. المتلوم: الذي ينتظر. أصحاب العصا: كناية عن أنهم رعاة. الناحز: بعير به نحاز: أي سعال. عرجل: من باهلة. أنزو: أثِب. العريض: الجدي الذي أتى عليه سنة. الزلم: له زلمة، وهي المعلقة في عنقه.

ومن ثم فإن تآلف العناصـــر الثلاثة يمكنه أن يقدم لنا تصـــوراً شـــاملاً عن القيمة الفنية التي قدمتها الصورة في بناء أدب التَّهديد.

نتائج البحث :

١ – شكلت الصورة الفنية عنصراً فاعلاً وأساسياً من عناصر التشكيل الفني لأدب التهديد، فكانت أداةً تأثيريةً ونفسيةً قبل أن تكون تعبيراً جمالياً، فهي على اختلاف أنواعها موظفة لإرهاب الخصم، وبثّ الذعر في نفسه.

٢– جاءت معظم الصور التهديدية حسيةً مستمدةً من البيئة، ومن الموروث الثقافي الجمعي، غايتها نقل التهديد من مجرد فكرة ذهنية إلى واقع حسيٍّ يبعث الذعر في المخاطب.

٣– حملت الصورة أبعاداً نفسية مهمة، فهي تظهر شعور المهدِّد بالقوة والاستعلاء، في حين تكرّس الخصم صورة الضعف والعجز والهوان، ولذا كانت الصورة أداةً مهمة من أدوات الحرب النفسية في الخطاب التهديديّ.

المصادر والمراجع

1 – الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط15، 2002م.

2– الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تح: إحسان عباس/ إبراهيم السعافين/ بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 1429هـ / 2008م.

3 – تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان (بيروت/ لبنان)، (د.ت).

4– جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1352هـ – 1933م.

5 – ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1414هـ–1994م.

6– ديوان جرير (بشرح محمد بن حبيب)، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف/ مصر، ط3،(د.ت).

7– ديوان ذي الرُّمة (شرح الخطيب التبريزي)، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط2، 1416هـ/1996م.

8 – ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ألفه ورواه: أبو عبيدة مَعْمَرُ بنُ المثنى، شرحه وعلق عليه: د. محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، 1422هـ/ 2002م.

9– ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1407هـ – 1987م.

10– ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.

11- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بَسج، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1414هـ - 1994م.

12- شرح ديوان حماسة أبي تمام، لأبي العلاء المعري، دراسة وتحقيق: حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي،1411هـ/ 1991م.

13 - الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، 1377هـ/1958م.

14 - الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني "منهجاً وتطبيقاً"، أحمد علي دهمان، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ط2، 2000م

15 - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1992م.

16- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط3، 1992م.

17- علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م.

18 - لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير/ محمد أحمد حسب الله/ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

19 - معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، 1379هـ/1960م. - من نثر الدُّر، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدَّم لها وعلَّق عليها: مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997م.

20- من نثر الدُّرّ، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبيّ، اختار النصوص وقدَّم لها وعلَّق عليها: مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997م.

الانزياح التركيبيّ
في ديوان (رأس المُسافر) لسيف الرَّحبي

جيهان سعد بلال
ماجستير في اللغة العربيَّة وآدابها – جامعة حمص

الملخَّص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن دور الانزياح التَّركيبيّ في شعريَّة ديوان (رأس المسافر) للشاعر العمانيّ سيف الرَّحبي.

بدأ البحث بمقدّمة فيها أسباب اختياره وأهدافه والمنهج المتبع في الدراسة، كما عرض لمفهوم الانزياح، ثمّ عمد البحث إلى دراسة أهمّ أنماط الانزياح التَّركيبي التي برزت في ديوان الرَّحبي (رأس المسافر)، فبدأ بالتَّقديم والتَّأخير مبرزًا أهمّيته في الكشف عن رؤية الشَّاعر الاغترابيّة، وتأثيره في المتلقّي، ثمَّ انتقل إلى دراسة الانزياح بالحذف، محاولًا الكشف عن دوره في تحرير النَّص الشعريّ من المعاني المباشرة والمحدَّدة، وفتح أبواب التأويل أمام المتلقّي، ثمَّ درس البحث – أخيرًا – الالتفات الذي أسهم في إبعاد نصّ الرَّحبي عن الرتابة والجمود، وخُتم بما توصَّل إليه من نتائج.

كلمات مفتاحيّة:

سيف الرَّحبي، رأس المسافر، الانزياح، التَّقديم والتَّأخير، الحذف، الالتفات.

Syntactic Shift

In the Poetry Collection The Traveler's Head by Saif Al-Rahbi

Gehan Saad Bilal

Master's Degree in Arabic Language and Literature

Abstract:

This research aims to explore the role of syntactic deviation in the poetics of the collection *Ra's al-Musafir* (The Traveler's Head) by the Omani poet Saif Al-Rahbi. The study begins with an introduction outlining the rationale, objectives, and methodology, followed by an overview of the concept of deviation. It then proceeds to examine and analyze the most prominent patterns of syntactic deviation found in the collection. It starts with the technique of *taqdim wa-ta'khir* (syntactic inversion/reordering), highlighting its significance in revealing the poet's vision of alienation and its impact on the reader. Next, it addresses deviation through ellipsis (*hadhf*), revealing how it liberates the text from direct, fixed meanings and opens avenues for reader interpretation. Finally, the study examines the device of *iltifat* (shifting/transitioning between grammatical persons or modes of address), which helps save Al-Rahbi's text from monotony and rigidity, before concluding with a summary of the findings.

Keywords:

Saif Al-Rahbi, *The Traveler's Head*, deviation, fronting and inversion, ellipsis, and *iltifāt* (shift in mode of address).

- **المقدِّمة:**

يعدُّ الشاعر العماني سيف الرَّحبي من أبرز الشعراء العرب الذين حاولوا تطوير قصيدة النثر العربيَّة، وذلك عبر تمرده على النمط السائد وبنائه أسسًا جماليّة جديدة مكَّنته من نقل قصيدة النثر العربيَّة من دائرة التجريد الذهني إلى دائرة الواقعيَّة المشحونة بألم الإنسان المعاصر وهواجسه. وفي هذا السياق يرى الشاعر اللبناني (يوسف الخال) أنَّ حداثة الرَّحبي «ليست حداثة افتعال، ... بل إنَّها انفجار الوعي والحساسيَّة الجديدة في تعبيرهما عن شقاء الإنسان في غربته ومنفاه»[1].

ويأتي ديوان الرَّحبي (رأس المسافر) ليعكس عالمًا شعريًّا فريدًا يسوده القلق والتساؤلات، وتتجلَّى فيه فرادة التجربة الشعريَّة عبر توظيف لغة شعريَّة مفارقة تقوم في جوهرها على الانزياح بوصفه آلية لخرق المألوف في اللُّغة وتوليد دلالات جديدة تلائم تجربته؛ وقد برز الانزياح التركيبيّ عند الشاعر في ديوانه هذا على نحو كبير، ولم يكن مجرد زينة لفظيَّة، بل تحوَّل إلى أداة تعكس اضطراب الجملة كمرآة لاضطراب الذات المغتربة. ويتجلى هذا الانزياح التركيبي في ثلاثة أساليب رئيسة شكَّلت معالم النصّ، هي: التقديم والتأخير، الحذف، والالتفات. وقد أسهمت هذه الأساليب في فتح آفاق جديدة للقراءة والتأويل وأكسبت تجربة الرَّحبي الشعريّة خصوصيَّةً، فهو «الشاعر الذي عاش تجاربه هو، لا تجارب سواه، وقد عاناها بمنظوره هو لا بمنظور سواه، ثمَّ أعاد نحتها بإزميله الخاصّ كائنات جماليّة تعرف شاعرها جيدًا»[2].

– أسباب اختيار البحث:

يتمتَّع سيف الرَّحبي بمكانة عالية بين شعراء جيله ويتميَّز ديوانه (رأس المسافر) بخصوصيته وفرادته؛ إذ عكس تجربة الاغتراب بأسلوب لغويّ خاصّ متجاوزًا الطرق التقليديّة في التعبير؛ إذ برز الانزياح التركيبيّ في هذا الديوان على نحو لافت. من هنا جاء هذا البحث محاولة جادة سعت إلى تتبُّع أنماط الانزياح التركيبيّ في الديوان ودراستها من خلال إظهار علاقتها باضطراب ذات المسافر وقلقها.

(1) الخال، يوسف، مجلة اليوم السابع، باريس، العدد161، 1987م، ص12. نقلًا عن: الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1986م، (الغلاف الخلفي).

(2) كليب، سعد الدين، جمالية القبح وشعرية الغرابة لدى سيف الرَّحبي _معجم الجحيم_ نموذجًا، مجلة البحرين الثقافية، العدد82 ، 2015م، ص89.

- هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشـف عن العلاقة الوثيقة بين مغايرة الأنماط التركيبيَّة المألوفة للجملة واضـطراب الذات المغتربة في ديوان (رأس المسـافر) لسـيف الرَّحبي، وعمَّا حقَّقته أنماط الانزياح التركيبي في هذا الديوان من فتح أبواب التأويل أمام المتلقّي.

- منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصـفيَّ التحليليَّ؛ لأنَّه المنهج الذي يسـتطيع البحث من خلاله رصـد الانزياحات التركيبيَّة البارزة في ديوان (رأس المسافر) لسيف الرَّحبي، ودراستها وتحليلها بغية الكشف عن أثرها في التعبير عن اضطراب الشاعر وقلقه، وخصوصيَّة تجربته الشعريَّة.

- الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت النتاج الشعريّ للرَّحبي دراسةٌ بعنوان: (جمالية القُبح وشعريَّة الغرابة لدى سيف الرَّحبي – معجم الجحيم – نموذجًا)، للباحث سعد الدين كليب، منشورة في مجلة البحرين الثقافية، العدد82، 2015م. وفيها تحدَّث الباحث عن تأسـيس النصّ الشـعريّ في مختارات سيف الرَّحبي الموسومة بمعجم الجحيم على جماليَّة القُبح كإطار جماليّ عامّ ومهيمن، وعلى شعريَّة الغرابة كأسلوبيّة فنية شعريّة مهيمنة أيضًا. ومن الدراسات السابقة أيضًا، دراسة بعنوان: (الواقعيَّة السحريَّة في شعر سيف الرَّحبي "رأس المسافر" نموذجًا)، للباحثين: صادق البوغبيش ورسول بلاوي ومحمد جواد بور عابد، منشـورة في مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسـانيَّة والاجتماعيَّة، القدس، المجلد 3، العدد 57، 2021م. ويتتبَّع هذا البحث مظاهر الواقعيَّة السحريَّة ويدرس عناصرها في ديوان (رأس المسافر)، وكيفيَّة استخدامها ودورها في النصّ الشعريّ.

وينضاف هذا البحث إلى البحوث السابقة في دراسة شعر الرَّحبي، مركّزًا على لغته في ديوانه رأس المسافر على وجه الخصوص، للكشف عن الأساليب التركيبيَّة المنزاحة فيه.

- **العرض والمناقشة والتحليل:**

أوَّلًا – مفهوم الانزياح:

تناول الدارســـون مفهوم الانزياح على نحو كبير وكَثُرت تعريفاتهم له، واختلفت المســـمَّيات والمصطلحات التي استخدموها للتعبير عن هذا المفهوم[1]، وعلى الرغم من هذا الاختلاف يتَّفق النقاد على فكرة أساسيَّة ترى في الانزياح تجاوزًا للأنماط اللغويَّة المعتادة سواء على المستوى التركيبيّ أو المستوى الدلاليّ، أو حتى المستوى الصوتيّ، وذلك من خلال «استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور استعمالًا يخرج به عمَّا هو معتاد ومألوف»[2]، بهدف «إخراج لغة النصّ بثوبٍ جديدٍ أو وفق بناءٍ وتصورٍ جديدين يسعى المؤلف من خلالهما لتحقيق غايةٍ جماليَّةٍ من جهة، ومن جهة ثانية يسعى لإبراز هواجس داخليّة يرى أنَّها قد لا ترى النور في النصّ، ولا يدركها المتلقّي إلَّا وفق عمليَّة البناء الجديدة التي يريدها، مع الأخذ بالحسبان تحقيق الوظيفة الإخباريَّة للغة النصّ وتحقيق عنصر المفاجأة أو الدَّهشـــة لدى المتلقّي»[3]. وعليه فإنّ الانزياح يقوم على تمرُّد المبدع على الســـنن اللغويَّة الســـائدة وابتكاره لأساليب وتعابير مدهشة تكسر الرتابة الأسلوبيَّة، وتخلق صدمة في نفس المتلقّي وتربك أفق توقُّعه، وتحرِّك طاقته التأويليَّة. وله ثلاث أنواع رئيســـــة، هي: (الانزياح الدلالي، الانزياح الإيقاعي، والانزياح التركيبي)، والأخير هو ما ستتمحور دراستنا حوله.

ثانيًا – الانزياح التركيبي في (رأس المسافر) لسيف الرَّحبي:

1) التّقديم والتّأخير:

إنَّ التَّقديم والتَّأخير هو انزياح تركيبيٌّ مرتبط بقواعد النحو ولذلك ســـمَّاه جان كوهن "الانزياح

(1) ذكر عبد السلام المسدّي أبرز المصطلحات المستخدمة في الدراسات الأسلوبيَّة للتعبير عن مفهوم الانزياح وهي: "الانزياح" لفاليري، "الانحراف" لســـبيتزر، "الاختلال" لوليك ووارين، "الإطاحة" لباتيار، "المخالفة" لتيري، "الشـــناعة" لبارت، "الانتهاك" لكوهن، "خرق الســـنن" لتودوروف، "اللحن" لتودوروف، "العصـــيان" لاراجون، "التحريف" لجماعة مو. ينظر: المسدي، عبد السلام، الأسلوبيَّة والأسلوب، دار الكتاب المتحدة، لبنان، ط 5، 2006م، ص99.

(2) ويس، أحمد، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، د.ت، ص5.

(3) علوش، خالد، الانزياح في شـعر البحتري، رسـالة أعدت لنيل درجة الماجسـتير في اللغة العربيَّة وآدابها، بإشراف: د. رئيفة السلُّومي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة حمص، سوريا، 2017م، ص 43.

النّحويّ"، فهو انزياح عن القاعدة التي تتحدّد ترتيب الكلمات[1]، إذ يقوم على خرق الرتابة التَّركيبية المعتادة في النحو وتجاوزها، «وهو تجاوز مقصود يسمح بتغيير موقعيّ على مستوى الإسناد، هذا التجاوز يثري السّياق ويفتح النصَّ على أبعاد تأويليَّة وتعدُّديَّة على مستوى القراءة إذا ما تعهَّده المبدع بوصفه منتجًا لقيم جماليَّة أو أبعاد نفسيَّة»[2]؛ أي أنَّ استخدام الشاعر للانزياح عبر التقديم والتأخير يحقّق له أغراضًا جماليَّة ودلاليَّة ونفسيَّة تمنح النصَّ طابعًا أسلوبيًّا فريدًا وتفتح ذهن المتلقّي على تأويلات عديدة.

وقد أدرك النقاد والبلاغيون العرب القدامى أهميَّة التقديم والتأخير، حيث ذهب عبد القاهر الجرجانيُّ (ت471هـ) إلى أنَّه «باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التَّصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعُه، ويلطُفُ لديك موقعُه، ثمَّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطُفَ عندك أنْ قُدِّم فيه شيء وحُوِّل اللّفظ عن مكان إلى مكان»[3].

وقد كَثُرَ التقديم والتأخير وتعدَّدت أنماطه عند سيف الرَّحبي في ديوانه (رأس المسافر)، ومن أبرز تلك الأنماط التي وردت في هذا الديوان:

أ- تقديم الخبر على المبتدأ:

يعدُّ تقديم الخبر على المبتدأ أحد أبرز مباحث التركيب تحقيقًا للانزياح؛ فهو يقع في لبِّ الدّراسات الأسلوبيّة المعنية برصد التغيُّرات في ترتيب العناصر اللّغويَّة في الخطاب الأدبيّ، وتكمن أهميَّة هذا التقديم في كونه مظهرًا حيويًّا للانزياح في التركيب اللغويّ، يهدف إلى تحقيق غايات نفسيَّة ودلاليَّة تقوم بوظيفة جماليَّة بوصفه ملمحًا أسلوبيًّا خاصًّا يتمُّ عن طريق كسر العلاقة المألوفة بين المسند والمسند إليه، ليضعهما في سياقٍ جديد وعلاقة مميَّزة[4]. وقد كان لهذا النوع من التقديم

(1) يُنظر: كوهن، جان، بنية اللغة الشعريَّة، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1986م، ص180.

(2) حسن، أيمن حسن، الانزياح في شعر فايز خضور، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيَّة وآدابها، بإشراف: د. أحمد سيف الدين، كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة حمص، سوريا، 2012م، ص97.

(3) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني بجدة، 2004م، ص107.

(4) يُنظر: الحسني، راشد، البنى الأسلوبية في النَّص الشَّعري، دراسة تطبيقية، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004م، ص233، و: الخطاب، حسين، الانزياح في شعر زهير بن أبي سُلمى، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حمص، سوريا، 2016م، ص146.

والتأخير حيّزٌ واسعٌ في ديوان (رأس المسافر) لسيف الرَّحبي.

يقول في قصيدة **(مدينة تستيقظ)**:

وهُناك رؤوسٌ وهميَّةٌ تطلُّ مِن النوافذِ
على بقايا الثَّلج الملتصقِ بالحَواف وكأَنَّما
تُطل على قِسمتها الأخيرة في
مِيراث الأَجدادِ[1].

يتجلّى الانزياح التركيبيّ في هذه النصّ من خلال التقديم والتأخير في قوله: (وهناك رؤوس وهميَّة تطلُّ من النوافذ)، إذ عمد الشاعر إلى تجاوز الترتيب النحويّ المألوف للجملة الاسميَّة؛ وذلك من خلال تقديمه الخبر المتمثّل بشبه الجملة (هناك) على المبتدأ النكرة الموصوفة (رؤوس وهميَّة)، وهذا التقديم للظرف (هناك) على المبتدأ (رؤوس) ليس انزياحًا نحويًّا فحسب، بل له أبعاد دلاليَّة ونفسيَّة عميقة تعكس ما يعتري الشاعر من مشاعر اغتراب وقلق وخوف في تلك المدينة الغريبة الأطوار، فتقدُّم شبه الجملة الظرفيَّة الدالة على المدينة (هناك) يبرز هيمنة عالم المدينة البارد والموحش بصورته المرعبة على ذات الشاعر، إذ لا يتمثَّل المكان في وعي المغترب بوصفه حيّزًا جغرافيًّا فقط، بل يتمركز في وعيه كقوة مدمّرة تطارده لتسحق روحه، وفي المقابل يأتي المبتدأ (رؤوس) متأخّرًا ليؤكِّد الشاعر من خلال هذا التأخير تهميش المغترب وضياعه في المدينة، فالإنسان المغترب يَفقد هُويَّته في المدينة التي تسلبه الشعور بذاته ومركزيَّته، فهي تحول الناس إلى مجرد رؤوس وهميَّة بلا ملامح واضحة، تراقب المدينة بقلق وحذر من النوافذ، وذلك من دون أن يكون لهم أيُّ تأثير أو فاعليَّة.

وفي قصيدة **(بخطوة الغيب)** يقول الرَّحبي:

ثمةَ ما يُؤْذِنُ بانفجار اللَّحظَةِ
ثمةَ فِي الشَّارِع امرأَةٌ تقطَع القلبَ
بِخطْوة الغيبِ
ثمةَ قامةٌ تُشمِّر الساعِدَ
عَن خِيانَتِها الكُبرَى
طُوفانُ الشُّكوكِ يجْثُم علَى

(1) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص 8.

الصَّدرِ
وفي اللَّيلةِ نفْسِهَا
الليلة الملعُونةِ هَذِه،
يفتَحُ الرأْسُ أبوابَهُ
مِثلَ ثَوْرٍ يدفع عاصفةٌ نحْو هِجرتهَا
الأَبديَّةِ[1].

ذهب الرَّحبي في هذه القصيدة إلى إعادة تشكيل البنى التركيبيّة لخلق فضاءٍ شعريٍّ مُفعم بالقلق والتَّرقُّب وذلك عبر افتتاحه ثلاثة أسطر في مطلع هذا النصّ بلفظة (ثمَّة)، وهي اسم إشارة ظرفي يدلُّ على المكان تقدَّم وجوبًا في الأسطر الثلاثة على أنَّه خبر مقدَّم، وأخَّر المبتدآت النكرات (ما الموصوليَّة، امرأة، قامة)، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ لهذا الانزياح التركيبيّ أثره البالغ في شعريَّة وجماليَّة القصيدة؛ فالقارئ لا يصل إلى الحدث مباشرة، ممَّا يثير فضوله واهتمامه، حيث يتدرج الشاعر في الانزياح عبر مستويات مختلفة من الصياغة، ممَّا يمكنه من إعادة تشكيل المشهد تصاعديًّا؛ ففي السطر الأوَّل: (ثمةَ ما يُؤْذنُ بانفجار اللَّحظَةِ)، يتجلّى التقديم والتأخير في تأخير المبتدأ المتمثّل في الاسم الموصول (ما) لجعل القارئ يقف أوّلًا عند فضاء الحدث المجهول، ثمَّ ينكشف له الحدث المخيف المتأخر (انفجار اللحظة).

ويبلغ هذا الانزياح ذروته الأسلوبيَّة في السطر الثاني: (ثمةَ فِي الشَّارِع امرأَةٌ تقطَع القلبَ)، إذ لا يكتفي الشاعر هنا بتقديم الخبر على المبتدأ بل يفصل بينهما أيضًا بفاصل تركيبيّ وذلك عبر تقديمه شبه الجملة الجار والمجرور (في الشارع) على المبتدأ (امرأة)، لإعطاء المكان (الشارع) الصدارة وللفت انتباه المتلقّي له ودفعه إلى رسم مسرح الحدث في مخيلته، بينما يؤخّر له صدمته بصورة المرأة الممزَّقة (امرأَةٌ تقطَعُ القلبَ).

ويكتمل المشهد في الانزياح الثالث: (ثمةَ قامةٌ تُشمِّر السَّاعِدَ عَن خِيانَتِها الكُبرَى)، حيث يعود الشاعر لتقديم الخبر الظرفي على المبتدأ المؤخَّر(قامةٌ)، وقد عمد الشاعر تنكيرها وتأخيرها ليضفي عليها هالة من الغموض التَّام ليزيد من صدمة المتلقي عند وصوله إلى مشهد الخيانة المؤجَّل، حيث يشوّق المتلقي ويثير اهتمامه ثمَّ يفاجئه ويصدمه بحدث الخيانة غير المتوقع.

إنَّ هذا الانزياح التركيبي المتكرّر كان وسيلة فنيّة تمنع القارئ من تلقّي الحدث دفعة واحدة، وتجعله في حالة ترقب مستمرٍّ وشوق دائم، كما كان في الوقت نفسه مرآة تعكس حالة القلق والتوتر

(1) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص10.

النفسيّ المسيطرة على أجواء القصيدة، وبذلك يكون الانزياح كشف عن دلالات نفسيَّة وحقَّق غايات جماليَّة معًا.

ب- تقديم شبه الجملة على المسند إليه:

يعدُّ تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور والظرف) على المسند إليه أسلوبًا من أساليب الانزياح التركيبي يكثر عند الشعراء، يقول ابن الأثير (ت637هـ) في حديثه عن الأثر البلاغيّ والجماليّ لتقديم الظرف: «فأمَّا الظرف فاعلم أنَّه إذا كان الكلام مقصـــودًا به الإثبات، فإنَّ تقديم الظرف فيه أبلغ من تأخيره، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره، وإذا أريد بالكلام النفي فيحسُن فيه تقديم الظرف وتأخيره؛ وكلا الأمرين له موضـــع يختصُّ به؛ فأمَّا تقديمه في النفي؛ فإنَّه يقصـــد به تفضـيل المنفي عنه على غيره. وأمَّا تأخيره؛ فإنَّه يقصـد به النفي أصـــلًا من غير تفضـيل»[1]، ويفهم من كلام ابن الأثير أنَّ البلاغيين القدماء كانوا يرون أنَّ هذا النوع من التقديم غرضـــه الأســـاســـي هو التخصـــيص والتوكيد، وقد اســـتند الرَّحبي على نحو كبير إلى هذا النوع من التقديم والتأخير في ديوانه (رأس المســـافر)، إلَّا أنَّ هذه الانزياحات التركيبيَّة قد تجاوزت الغرض البلاغي التقليدي المباشـــر في قصيدة النثر عند سيف الرَّحبي، لتؤدي وظيفة نفسيَّة أعمق، وهي تعميق دلالة الاغتراب وتغيير زاوية الرؤية.

يقول في قصيدة **(النَّوم)**:

كُلَّ صباحٍ حِين تنْهضُ مِن نوْمِكَ

الضاربِ فِي القِدَمْ،

تفتحُ نافِذةٌ

تدخلُ مِنها مُوسِيقَى

ورجالٌ يحْمِلونَ علَى أَكتافِهِمْ

قوارِبَ

تَسطعُ فوقَها شمسٌ مريضةٌ[2].

يتحدث الشـاعر عن مشـاعر الاغتراب التي يعيشـها يوميًّا، مسـتعينًا بسـلسـلة من الانزياحات

(1) ابن الأثير، الجامع الكبير في صـــناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصـــطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، ص110.

(2) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص54.

التركيبيَّة التي تتكامل فيما بينها لتبرز عبثية العالم الخارجي المحيط بالشاعر، وتعزز إحساسه بالوحشة والضياع، ففي التركيب: (تدخلُ مِنها مُوسِيقَى) يُقدِّم الشاعر الجار والمجرور (منها) على الفاعل (موسيقى)، وفي التركيب: (تَسطعُ فوقَها شمسٌ مريضةٌ) يتقدَّم الظرف (فوق) على الفاعل (شمس)؛ والشاعر هنا لا يريد تخصيص الموسيقى بالنافذة، أو الشمس بمكان معين، بل يريد إبراز المكان (العالم الخارجي)؛ فعندما يعيش الإنسان حالة اغتراب وعزلة، يصبح المكان الذي لا يتوافق معه ولا يحتويه هو الضاغط الأساسي عليه، وكذلك الأمر في التركيب: (يحْمِلونَ علَى أَكتافِهم قوارِبَ)، فإنَّ الرَّحبي لا يريد من تقديم الجار والمجرور (على أكتافهم) على المفعول به (قوارب) تخصيص القوارب بأكتاف الرجال، بل إنَّه يركِّز على جسد الإنسان المثقل بالتعب والشقاء. وإنَّ تكرار البنية النحويّة المنزاحة نفسها ثلاث مرات متتالية يشير إلى رتابة الحياة ونمطها القاتل والممل، وشعور ذات الشاعر المغتربة بثقل الزمن وقبح الواقع الذي يستيقظ عليه الشاعر كل صباح.

ج- تقديم المفعول به على الفاعل:

يمثّل تقديم المفعول به على الفاعل ظاهرة أسلوبيَّة مطَّردة عند الشعراء[1]، وهو أمر أصَّل له ابن جنِّي (ت392هـ) بوصفه ظاهرة شائعة عند العرب، قال: «إنَّ المفعول قد شاع عنهم واطَّرد من مذاهبهم كثرةُ تقدُّمه على الفاعل، حتى دعا ذاك أبا عليّ الفارسيّ إلى أن قال: "إنَّ تقدُّم المفعول على الفاعل قسمٌ قائمٌ برأسه، كما أنَّ تقدُّم الفاعل قسمٌ أيضًا قائمٌ برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئًا واسعًا"»[2]. وقد ورد هذا التقديم في ديوان رأس المسافر، ولجأ إليه الرَّحبي غير مرَّة.

يقول في قصيدة (**رسالة**):

الفجرُ ينتَشِرُ فِي غُرفتي كذِئْبٍ،
يتقدَّمه زحْفُ عُوائِهِ نحْو قريَةٍ مهْجُورةٍ[3].

(1) الخطاب، حسين، الظواهر الأسلوبيّة في شعر المدرسة الأوسيّة، رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ. د. فاطمة تجور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، 2023م، ص207.

(2) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952م، ص295/1.

(3) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص47.

«يتعمد الشـــاعر أحيانًا أن يُقرن الفعل بمفعوله، إذا كان ســـيضـــمن له تعميق الإحســـاس بالمعنى»[1]، وهذا ما فعله الرَّحبي حين قرن المفعول به الضـــمير المتصـــل (الهاء) بالفعل مباشـــرة، وأخَّر الفاعل (زحف) في التركيب: (يتقدَّمه زحْف عُوائِهِ نحْو قريَةٍ مهْجُورةٍ)، فالشاعر في هذه القصيدة يتحدَّث عن مشاعر الوحشة والوحدة والخوف التي تسيطر عليه وقت الفجر بسبب افتقاده لما قد يمنحه السكينة والأمان، فأراد تعميق الإحساس بالخوف من خلال هذا الانزياح، كما يحمل هذا الانزياح بعدًا جماليًّا أيضًا، يتمثَّل في إثارة انتباه المتلقي وتشويقه لمعرفة الفاعل.

2) **الحذف:**

يُعرَّف الحذف في الاصطلاح البلاغي بأنَّه: «إسقاط جزء من الكلام أو كلّه لدليل»[2]، وله أثر نفســـي عميق، إذ «يثير فضـــول المتلقي، ويجعله يبحث عن كنز مدفون، حتَّى إذا وُفق إليه، نال مبتغاه، وكان لظهوره لذة، وللوصـــول إليه متعة ومكانة»[3]. كما يؤدّي الحذف في النصّ وظائف وأغراضًا بلاغيَّة كثيرة، منها: التفخيم والتعظيم والإيجاز والتشويق[4].

وقد تعددت أنماط الحذف التي اعتمدها الرَّحبي في ديوانه (رأس المسافر)، نذكر منها:

أ- **حذف الفعل:** «غالبًا ما يرافق حذف الفعل غياب فاعله معه، إلَّا أنَّ المعنى يبقى قائمًا على الرغم من غياب الفعل، بل إنَّ مثل هذا الحذف يورث الأسلوب رشاقةً وجمالًا في أغلب الحالات، بما يوفره من لمحةٍ خاطفةٍ، وإشارةٍ بارعةٍ، تغني المعنى، وتوسّع أطر الخيال الشعريّ»[5].

يقول الرَّحبي في قصيدة (**أحشاء الصَّباح**):

الصَّباحُ يُجرجِرُ أَحشاءَه تحْتَ
قدمِ التِّيهِ

(1) حمدان، ابتسام أحمد، الحذف والتَّقديم والتَّأخير في ديوان النَّابغة الذبياني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1992م، ص228.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1957م، ص102.

(3) السبت، عبد الرحمن بن أحمد، ظاهرة الانزياح في شعر البارودي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المجمعة، السعودية، العدد: 86، 2018م، ص69.

(4) يُنظر: الخطاب، حسين، الظواهر الأسلوبيّة في شعر المدرسة الأوسيّة، ص213.

(5) حمدان، ابتسام أحمد، الحذف والتَّقديم والتَّأخير في ديوان النَّابغة الذَبياني، ص128.

والمساءُ تحْت مِعطَفكَ

عيْنًا جاحِظةً

وأُخرى تُراقِبُ الغيْم يسْقُطُ

فوْق الجبَالِ[1].

يتمثّل الانزياح التركيبيُّ بالحذف في النصّ بقوله: (والمساءُ تحْت مِعطَفكَ/عيْنًا جاحِظةً)، حيث عمد الشاعر إلى حذف الفعل الذي قام بنصب المفعول به (عينًا) مع فاعله، ويمكن تقديره حسب السياق بالفعل (يُخفي)، أو (يُغطّي)، ولا شكَّ في أنَّ لهذا الحذف أثرًا جماليًّا ودلاليًّا، بسبب ما حقَّقه من تكثيف وإيجاز، ولِمَا يخلقه من إثارة وغموض نتيجة خرقه للمألوف ودفع المتلقي للتأمُّل والتركيز بالمفعول به (عينًا جاحظة) لتقدير المحذوف واكتشاف المعنى المراد، مِمَّا يفتحُ النصَّ على آفاق دلاليَّة متنوعة، فالعين الجاحظة التي يخفيها المساء تحت المعطف، ربما توحي بحالة القلق والترقب التي تتصارع ذات الشاعر معها محاولة الظهور بصورة متوازنة.

ب- حذف المبتدأ: استعان الرَّحبي بحذف المبتدأ في مواضع كثيرة في ديوان (رأس المسافر)، بوصفه أسلوبًا للتعبير، من ذلك قوله في قصيدة (**نجمة الأعاصير**):

امرأَةٌ تُحرِق عشبَ القارَّاتِ

لِتُضيء نجْم الشَّكِيمةِ المتدلِّي

مثلَ نِيَّةِ انتقامٍ لِسَمَاءٍ مُدْلهمَّةٍ[2].

يتجلَّى الانزياح التركيبيُّ في هذا النصّ من خلال حذف المبتدأ في قول الشاعر: (امرأَةٌ تُحرِق عشبَ القارَّاتِ)، والتقدير: (هي امرأةٌ). إلَّا أنَّ الشَّاعر عدل عن الأسلوب المألوف ليحقِّق غرضًا رئيسًا وهو تجسيد المعنى المراد؛ فالنصُّ لا يتحدَّث عن امرأة عاديَّة، بل عن ذاتٍ مؤثِّرة وفاعلة. والبدء بالخبر (امرأة) مباشرة يركِّز الاهتمام عليها، ويبرز قوَّة تأثيرها وحضورها. وهذا ما يؤكّده عنوان القصيدة (نجمة الأعاصير) التي تجتاح القارَّات وتضيء النجوم.

ج- حذف الخبر: يُشترط في حذف الخبر أن «يدلَّ معنى الكلام أو الحال عليه، حتَّى لا يدخل الوهم إلى السَّامع، ولا يلتبس عليه فقدان المحذوف من الكلام، فيختلَّ معنى الكلام الذي أراده

(1) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص17.

(2) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص38.

القائل»[1].

يقول الشاعر في قصيدة **(مدينة تستيقظ)**:

القطاراتُ تحلُم بالمسافرينَ.

لَا أَحدَ.. لا شيءَ[2].

يظهر الانزياح بالحذف بوضوح في عبارة: (لا أَحدَ.. لا شيءَ)، حيث استغنى الشاعر عن ذكر خبر (لا) النافية للجنس، والتقدير :(لا أحد موجودٌ، لا شيء موجودٌ)، وهو بهذا الحذف منح العبارة إيجازًا وقوة تعبيريَّة عالية. ولعلَّ هذا الفراغ اللغويّ الذي أحدثه حذف الخبر يجسّد حالة الفراغ والعدم التي يعيشها الشاعر وسط أجواء المدينة الموحشة ويعمِّق الشعور بالوحدة والانعزال.

د- حذف المفعول به: يقول ابن جنِّي في التأصيل لهذا النوع من الحذف: «وحذف المفعول به كثيرٌ في القرآن وفصيح الكلام، وذلك إذا كان هناك دليل عليه»[3]. ولهذا الحذف أغراض متعدّدة، كالتركيز على الحدث، أو إفادة معنى الإطلاق والشمول، فغالبًا ما كان حذف المفعول يسمح للفعل أن يمتدَّ بأثره[4]، وهذا ما نجده في قصيدة **(البَراءةُ الأُولَى)**، إذ يقول الرَّحبي في هذه القصيدة:

بِبراءَةِ الخُطوةِ الأُولَى،

بِالبَراءةِ نفْسِهَا

تقمَّصتُ ملَاكَ أَوهَامِي

وذَهبتُ نحوَ المرأَةِ التِي انقذَفتْ

دهورُ وجْدِها فِي رأسِي

نحْو المرأَةِ التِي أُحِبُّ[5].

(1) الصالح، ساجد الخليف، ظاهرة العدول النحويّ والصرفيّ العربية، دراسة تطبيقيَّة على شعر ذي الرّمة، رسالة أعدّت لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: أ.د. نبيل أبو عمشة، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق، دمشق ، ص303.

(2) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص8.

(3) ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، تحقيق: عبد الحليم النجار، وعلي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م، د. ط، ص125/1.

(4) يُنظر: حمدان، ابتسام أحمد، الحذف والتَّقديم والتَّأخير في ديوان النَّابغة الذَبياني، ص147.

(5) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص50.

يتجلَّى الانزياح بالحذف بوضوح في قول الشاعر: (نحْو المرأَةِ التِي أُحِبُّ)، إذ حذف الشاعر الضمير (ها)، ولم يقل (أُحبُّها). وهذا الحذف لم يأتِ عفو الخاطر، بل تقصَّده الشاعر لإطلاق دلالة فعل الحبّ، فبدلًا من أن يتحدَّث الشَّاعر عن حبِّ امرأة محدَّدة في الحاضر، جعل المعنى يتَّسع ليتحوَّل إلى حنين مطلق نحو الماضي. وبذلك، تصبح المرأة في النصّ رمزًا لزمن الطفولة المفقود والبراءة الأولى التي يحنُّ إليها الشاعر ويهرب إليها من قسوة واقعه، فكلمة دهور في قول الشَّاعر: (وذهبْتُ نحو المرأة التي انقذفَتْ دهورُ وجدها في رأسي)، تحيلنا إلى أنَّ الشِّاعر لا يتحدَّث عن امرأة موجودة في الواقع بل إنَّها رمزًا لزمن ممتدٌّ في الماضي يسكن ذاكرته.

3) الالتفات:

يعدُّ الالتفات ظاهرة أسلوبيَّة تعكس تحوُّلًا جماليًّا في البنية الخطابيَّة، وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام واسع في التراث البلاغيّ والنقديِّ، حيث عُبِّر عنها بمصطلحات متنوِّعة، أبرزها: «الصرف والعدول، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربيَّة»[1].

ويُعد الزَّمخشريُّ (ت538هـ) أوَّل من رسَّخ هذا المصطلح وسعى إلى تأصيله، وذلك في تفسيره الشَّهير (الكشَّاف)، وقد كشف الزَّمخشريُّ عن القيمة الفنيَّة والجماليَّة للالتفات، وذلك: «لأنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ، كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السّامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ، وقد تختصُّ مواقعُه بفوائد»[2]، أيّ أنّ الالتفات حسب قول الزَّمخشريّ يحقّق فائدتين: إحداهما عامَّة في كلّ صوره، وهي إمتاع المتلقي وجذب انتباهه بتلك الانزياحات والتحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، والأخرى خاصّة تتمثّل فيما تشعُّه كلُّ صورة من تلك الصّور، في موقعها من السّياق الذي ترد فيه، من إيحاءاتٍ ودلالات خاصَّة، كما يولي الزَّمخشريُّ المتلقي أهميةً خاصّةً في نظرته إلى الالتفات، وهي رؤية تتوافق مع رؤية الأسلوبيّين في العصر الحديث[3].

والالتفات «هو تحوُّل في الأسلوب، حيث يسير المتكلِّم على سمتٍ معيَّن، ثمَّ لا يلبث أن يتحوَّل إلى مستوى آخر من الخطاب، سواءً عبر تحوُّل الأفعال وأزمنتها، أو الضَّمائر بين الإفراد والجماعة

(1) طبل، حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دار السلام، القاهرة، ط1، 2010م، ص13.

(2) الزمخشري، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 ، 1407هـ، ص 10/1.

(3) يُنظر: الخطاب، حسين، الظواهر الأسلوبيّة في شعر المدرسة الأوسيّة، ص160.

أو الحضور والغياب»[1].

وديوان (رأس المسافر) لسيف الرَّحبي غنيٌّ بهذه الظاهرة الأسلوبيَّة، إذ اعتمد الرَّحبي على أنماط الالتفات المختلفة (الالتفات بالضمائر، الالتفات بالصيغ، الالتفات بالأفعال) في كسر الرتابة النَّصيَّة، ومن أجل فت انتباه المتلقي والتَّأثير فيه من جهة، والتعبير عن انفعالات الشاعر ومشاعره وتعميق المعاني المراد إيصالها من جهة أخرى.

يقول في قصيدة (**القدَمُ النرجِسيَّة**):

وَلأنِّي كُنت المدعُوَّ لِهذه الوَليمةِ مِنَ
الأَقدامِ والأَدْمغةِ المُستفزَّةِ،
غامرْتُ بِسُمعتي الأَخلاقيةِ
لأَكُونَ سيِّدَ المأدُبةِ أَوْ خادِمَها،
بِحيثُ لَا تنْقُصنِي الأَرابةُ لِلْوقُوعِ
دَوْمًا بيْن أَسْنانِ ذِئبٍ.
أَهكذَا يَبْدأُ المجُوسُ رحيلَهمْ
تَاركِينَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ أَثرًا لِجَريمةٍ
عذْراءَ
وَبقايا عِشاءٍ
يَمتَدُّ حتَّى الأَبديةِ[2].

بالنظر إلى السياق اللغويّ للنصّ نجد أنَّ الرَّحبي استند في البداية إلى ضمير المتكلم وصيغة المفرد، وذلك على نحو واسع في حديثه عن رحلته وعذابه وتجربته الشخصية وكيف وقع في شباك هذا العالم القاسي: (لأنِّي، كُنتُ، غامرْتُ، بِسُمعتي، لأَكُونَ، تنْقُصنِي)، ثمَّ التفت فجأة إلى ضمير الغائب وصيغة الجمع في السطور الأخيرة: (تاركين، رحيلهم)، وهذا الانتقال المفاجئ بين الصيغ والضمائر أسهم في لفت انتباه المتلقي، ونقل النصّ من الحديث عن معاناة الشَّاعر الشخصيَّة إلى الحديث عن مأساة عامَّة تخصُّ كلَّ البشر عبر التاريخ؛ فالشَّاعر يرى أنَّ ضياعه الحالي ليس حالة

(1) رواشدة، سامح، قصيدة إسماعيل لأدونيس، صور من الانزياح التركيبي وجمالياته، مجلة دراسات، الأردن، المجلد:3، العدد:3، 2003م، ص477.

(2) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص26.

فرديَّة بل هو تكرار لضـــياع المجوس القدامى في رحلتهم الطويلة؛ لأنَّ العذاب والضـــياع قدر أبديٌّ محتوم على البشـــريَّة جمعاء في منظور الشـــاعر، وهذا ما يؤكّده في ختام القصـــيدة بقوله: (وَبقايا عِشاءٍ/يَمتَدُّ حتَّى الأَبديةِ).

يقول في قصيدة **(كلُّ شيْءٍ لمْ يَبدأ)**:

كُلُّ شَيْءٍ بدأَ
كُلُّ شَيْءٍ لمْ يبدأ
هَكَذَا أَبدًا
تموتُ وعولُ النَّفْس فِي
خُضرةِ الصُّراخِ
هكَذا تنْدلِعُ حروبٌ تَغرقُ فِيهَا
سُفن الأَفْكارِ
وَهكذا أَيضًا أَحلمُ
أَنَّنِي قائِدُ أُورْكِسْترَا
فِي جُزُرٍ
تشْتعِلُ فِيها النِّيرانْ[1].

يبدأ الشَّـاعر هذا المقطع مسـتخدمًا ضـمير الغائب: (بدأَ، لمْ يبدأ، ..)؛ متحدّثًا عن فوضـى وعبثية العالم الخارجي، وذلك على نحو محايد وكأنَّه يراقب هذا العالم ويرصـد خرابه من بعيد دون أن تكون له أيُّ علاقةٍ به. ثمَّ يلتفت فجأةً إلى ضـمير المتكلم :(أَحلمُ، أَنَّنِي)، وينقل القصـيدة إلى الحديث عن اغترابه وعذابه الذاتي؛ فأحلامه لم تسـلم من آثار الحروب المندلعة في الخارج، وهنا تبرز أهميَّة هذا الالتفات في التَّعبير عن خيبة أمل الشَّـاعر واصـطدام أحلامه الشـخصـيَّة بواقعه العبثيّ المليء بالدَّمار والحروب.

يقول في قصيدة **(النَّوم)**:

وَكَان الجميعُ مربُوطًا
بِقَدَم العاصفةِ
التِي تُرتِّب نوايَا رحِيلِهَا

(1) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص16.

فِي نوْمكَ
الذِي لمْ تستَيقظْ مِنه بعدُ.
النافذةُ مفتوحةٌ، وأَنتَ
تقْتلعُ رؤوسًا
بشريَّةً
تَظهرُ على شكلِ
نُجُومٍ
فِي فُنجان القهْوةِ.
لحظاتٌ
وسَتغِيب في زُحامِ الشارعِ[1].

يظهر الالتفات في هذا المقطع عندما ينتقل الشاعر فجأة من ضمير الغائب في قوله: (رحيلها) إلى ضـمير المخاطب في قوله: (نومك، أنت ..)، وهذا الالتفات بالضـمائر أسـهم في التعبير عن حالة الضَّياع والتَّشظي الداخليّ التي يعيشها الشَّاعر؛ فالشَّاعر عندما التفت إلى ضمير المخاطب، لم يكن يريد توجيه الكلام إلى شخص آخر، بل كان يوجِّه الحديث إلى ذاته المغتربة، وكأنَّه شخصٌ آخر يقف بعيدًا ليرصد ما يسكن ذاتَه من مخاوف واضطرابات وهواجس، وفي الوقت نفسه إنَّ هذا الالتفات المفاجئ يكسـر الرَّتابة ويثير اهتمام المتلقي؛ إذ يجعله يشـعر وكأنَّ الكلام موجَّه إليه أيضًـا، وهذا من شـأنه أن يدعوه إلى التَّأمل والتَّفكير في هذا الواقع الصـعب والزحام الذي يبتلع الجميع: (وسَـتغِيب في زُحامِ الشارعِ).

وفي قصيدة **(مدينة تستيقظ)** يقول الرَّحبي:

المصابيحُ تتدافَع بالمناكِبِ، قادمةً
من كهوفٍ سحيقةٍ
لاَ تحمل أَي سِرٍّ
السَّماءُ مقفرةٌ منَ النجومِ
الجِمالُ تقطع الصحراءَ باحثةً

(1) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص55.

عن خِيام العَشِيرةِ

القطاراتُ تحلُم بالمسافرينَ.

لَا أَحدَ... لا شيءَ..

أغلِقِ السِّتارةَ

فربَّما لَا تحتمِلُ

مشهدَ مدينةٍ تَستيقظُ[1].

يبدأ الشـاعر نصَّـه بالحديث عن عالم المدينة البارد والمرعب مسـتخدمًا الأفعال المضـارعة (تتدافع، لا تحمل، تقطع، تحلم)، للدلالة على استمراريَّة الاغتراب والمعاناة في هذه المدينة الموحشـة، ثمَّ يلتفت فجأة وينتقل في حديثه إلى صـيغة الأمر بقوله: (أغلِقِ السِّتارةَ)، ثمَّ يعود مباشـرة إلى صـيغة المضارع: (لا تحتمل، تستيقظ).

وتتجلَّى جماليَّة هذا التنقل السريع بين الصـيغ في تحقيقه وظيفة الالتفات الأساسيَّة وهي كسر رتابة النَّص؛ فلو اسـتمر الشَّـاعر في اسـتخدام الأفعال المضـارعة، لبات النَّص محصـورًا في إطار سـرديّ وصـفيّ للمدينة وعالمها الموحش، لكنَّه من خلال التفاته إلى صـيغة الأمر شـدَّ انتباه المتلقي ودفعه إلى الاهتمام وكأنَّ الكلام موجَّه إليه، كما أنَّ الالتفات من المضارع إلى الأمر المفاجئ (أغلِق)، مكَّن الشَّاعر من تجسيد حالة اليأس التي تسيطر عليه نتيجة اصطدامه بحقيقة عالم المدينة وقسوته، فذاته لم تعد قادرة على تحمل هذا العذاب، ولذلك طلب فجأة إغلاق الستارة رغبة منه في الانعزال عن هذا الواقع والخلاص منه.

- **نتائج البحث:**

حاول هذا البحث تتبع أسـاليب الانزياح التركيبي في ديوان (رأس المسـافر) للشـاعر العماني سيف الرَّحبي، وقد خَلُص البحث إلى جملة من النتائج، أهمّها:

1) كشـف البحث أنَّ الانزياح التَّركيبي في ديوان (رأس المسـافر) قد حقَّق غايات دلاليّة وجماليّة ونفسـيّة، فلم يكن مجرَّد زينة لفظيَّة، بل كان وسـيلة ذكيَّة اسـتخدمها الرَّحبي للتعبير عن وجع المسافر وضياعه؛ وتوصيل إحساسه للمتلقي، فجعل من اضطراب الجملة وخروجها عن القواعد المألوفة مرآة لاضطراب الذات المغتربة.
2) كشـف التقديم والتأخير في ديوان (رأس المسـافر) عن رؤية الشـاعر الاغترابيَّة؛ فالجملة الشـعريَّة

(1) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، ص8.

عند الرَّحبي تتعمَّد دائمًا تقديم المكان والظروف المحيطة: (الخبر/ المفعول به)، وتضـــعها في الصــدارة، بينما تؤخِّر الإنســان والذات الشــاعرة: (المبتدأ/ الفاعل)، ممَّا يعكس انســحاق الذات الشِّاعرة وانهزامها أمام وطأة العالم الخارجي وظروفه القاسية (المدينة/ الشارع/ الغربة/ الخيانة)، كما مكَّن انزياح التقديم والتأخير الشَّــاعرَ من جذب انتباه المتلقي وإثارة تفكيره وتأمُّله، وجعله في حالة ترقُّبٍ وشوق.

3) أظهر الحذف الذي جاء بأنواعه المختلفة: (حذف الفعل، المبتدأ، الخبر، والمفعول بـه..) في ديوان (رأس المسـافر)، أنَّ إسـقاط الكلمات من الجملة ليس مجرد اختصـار نحويّ، بل هو أداة فنيَّة تعكس مشاعر الشَّاعر الداخليّة؛ فالشَّاعر يحذف الأفعال والأسماء ليجسد بصورة ملموسة فكرة الغياب أو الفراغ الوجودي، وكأنَّ النقص في بنية الجملة يترجم النقص والوحدة في حياة الشَّاعر المغترب.

4) كسـر الرَّحبي القيود التعبيريَّة الضـيقة باسـتعانته بأسـلوب الحذف؛ فعندما يترك الشَّـاعر الجملَ ناقصـــةً أو يتجنَّب تحديد المفعول به، فإنَّه يحرِّر النَّصَّ من المعاني المباشـــرة والمحدَّدة، ويفتح أبواب التأويل أمام المتلقي.

5) عكس الالتفات في ديوان (رأس المسـافر) حالة الضـياع والقلق التي يعيشـها الرَّحبي، حيث يبرزُ الالتفاتُ تشـتُّتَ الشـاعر وضـياعَه بين حرصـه على مراقبة ووصـف دمار العالم الخارجي وبين رغبته في الانعزال والاستسلام. كما أسهم الالتفات في (رأس المسافر) في إبعاد نصّ الرَّحبي عن الرتابة والجمود، ممَّا ساعد في شدّ انتباه المتلقي وكسب اهتمامه.

المصادر والمراجع

- الكتب المطبوعة:

(1) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.

(2) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني بجدة، 2004م.

(3) ابن جنّي، الخصـــائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، مصـــر، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952م.

(4) ابن جنّي، المحتســـب في تبيين وجوه شـــواذ القراءات، تحقيق: عبد الحليم النجار، وعلي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م، د. ط.

(5) الحسني، راشد بن هاشل، البنى الأسلوبيّة في النص الشعري، دراسة تطبيقيَّة، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004م.

(6) حمدان، ابتســـام أحمد، الحذف والتَّقديم والتَّأخير في ديوان النَّابغة الذَبياني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1992م.

(7) الرَّحبي، سيف، رأس المسافر، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1986م.

(8) الزَّركشـــي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1957م.

(9) الزمخشـــري، الكشَّـــاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 ، 1407هـ.

(10) طبل، حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دار السلام، القاهرة، ط1، 2010م.

(11) كوهن، جان، بنية اللُّغة الشعريَّة، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1986م.

(12) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب المتحدة، لبنان، ط 5، 2006م.

(13) ويس، أحمد، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، د.ت.

- **الرسائل الجامعية:**

(14) حسن، أيمن حسن، الانزياح في شعر فايز خضور، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: د. أحمد سيف الدين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حمص، سوريا، 2012م.

(15) الخطاب، حسين، الانزياح في شعر زهير بن أبي سُلمى، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حمص، سوريا، 2016م.

(16) الخطاب، حسين، الظواهر الأسلوبيّة في شعر المدرسة الأوسيّة، رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د. فاطمة تجور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، 2023م.

(17) الصالح، ساجد الخليف، ظاهرة العدول النحويّ والصرفيّ العربية، دراسة تطبيقية على شعر ذي الرّمة، رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: د. نبيل أبو عمشة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق.

(18) علوش، خالد، الانزياح في شعر البحتري، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: د. رئيفة السلومي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حمص، سوريا، 2017م.

- **البحوث والمقالات:**

(19) رواشدة، سامح، قصيدة إسماعيل لأدونيس، صور من الانزياح التركيبي وجمالياته، مجلة دراسات، الأردن، المجلد:3، العدد:3، 2003م.

(20) السبت، عبد الرحمن بن أحمد، ظاهرة الانزياح في شعر البارودي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المجمعة، السعودية، العدد: 86، 2018م.

(21) كليب، سعد الدين، جمالية القبح وشعرية الغرابة لدى سيف الرَّحبي _معجم الجحيم_ نموذجًا، مجلة البحرين الثقافية، العدد82 ، 2015م.

بناء عظمة فرنسا في خطاب التّهنئة الموجّه إلى الأمّة: تحليل لخطابيّ إيمانويل ماكرون لعاميّ 2025 و 2026

كلية : الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة الفرنسية – جامعة: دمشق

الطالبة: نور ادلبي

إشراف: د. ورد حسن

الملخص

تندرج هذه الدراسة ضمن مجال تحليل الخطاب السياسي وتهدف إلى بحث كيفية بناء مفهوم عظمة فرنسا في خطاب التهنئة الرئاسي الموجّه إلى الأمّة الذي يقدمه إيمانويل ماكرون لعامي 2025 و2026. وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أن العظمة لا تمثل مجرد موضوع في الخطاب الرئاسي، بل تبنى من خلال مجموعة من الآليات اللغوية والتلفظية والبلاغية التي تميز خطاب التهنئة.

وقد أظهرت هذه الدراسة أن العظمة تتجلى في خمسة أبعاد متكاملة وهي : عظمة طقوسية مرتبطة بضوابط هذا النوع الخطابي، وعظمة رمزية قائمة على تمثيل الأمة وإبرازها، وعظمة جماعية مبنية حول "نحن" الوطنية، وعظمة توافقية تسعى إلى تحييد التوترات، وأخيراً عظمة استشرافية تتطلع نحو المستقبل.

بينت الدراسة أن هذه الأبعاد تبنى عبر وسائل لغوية متعددة مثل الأزمنة الفعلية والضمائر والحقول المعجمية والأساليب البلاغية. وتخلص الدراسة إلى أن خطاب التهنئة يشكل فضاءً متميزا لإنتاج المتخيل الوطني، حيث توظّف العظمة بوصفها مورداً خطابياً يرسخ صورة الأمة ويعزز العلاقة الرمزية بين رئيس الجمهورية والمواطنين.

الكلمات المفتاحية: خطاب سياسي، خطاب تهنئة، عظمة فرنسا، تحليل خطاب، متخيل سياسي، أمّة.

La construction de la grandeur de la France dans le discours de vœux à la nation : analyse des allocutions d'Emmanuel Macron (2025 et 2026)

Résumé

Cet article s'inscrit dans le champ de l'analyse du discours politique et examine la manière dont la notion de grandeur de la France est construite dans les discours de vœux à la nation prononcés par Emmanuel Macron pour les années 2025 et 2026. L'objectif est de montrer que la grandeur ne constitue pas un simple thème du discours présidentiel, mais qu'elle est produite par un ensemble de procédés linguistiques, énonciatifs et rhétoriques propres au genre de vœux.

L'analyse met en évidence cinq dimensions complémentaires de la grandeur : une grandeur ritualisée, liée aux contraintes du genre, une grandeur symbolique, fondée sur la mise en scène de la nation, une grandeur collective, construite autour du *nous* national, une grandeur consensuelle, qui tend à neutraliser les tensions, et enfin une grandeur prospective, orientée vers l'avenir.

L'étude montre que ces différentes dimensions sont élaborées grâce à des choix linguistiques précis, tels que les temps verbaux, les pronoms personnels, les isotopies lexicales et les figures de style. Elle conclut que le discours de vœux constitue un espace privilégié de production de l'imaginaire national, où la grandeur apparaît comme une ressource discursive essentielle pour construire une vision cohérente de la nation et renforcer le lien entre le président et les citoyens.

Mots-clés : discours politique, discours de vœux, grandeur de la France, analyse du discours, imaginaire politique, nation.

Introduction

Aperçu et études précédentes

Le discours politique constitue un espace privilégié de construction et de mise en circulation des représentations collectives. Parmi les prises de parole présidentielles, le discours de vœux à la nation qui occupe une place singulière, en raison de son caractère rituel, de sa forte dimension symbolique et de sa fonction unificatrice. Prononcé à la fin de chaque année (le 31 décembre), il représente un rituel institutionnel qui conjugue le bilan de l'année écoulée, la projection de l'avenir et la réaffirmation des valeurs collectives (Djamshidi, 2017, p.5). Il ne se limite pas à un simple exercice de communication institutionnelle, mais il participe aussi à la production d'un récit national, dans lequel la nation est décrite, valorisée et projetée vers l'avenir.

Dans ce cadre, la notion de grandeur de la France apparaît comme une composante essentielle du discours présidentiel. Cette grandeur ne renvoie pas seulement à des réalisations concrètes, telles que les succès diplomatiques ou les avancées scientifiques, mais elle s'inscrit également dans une construction symbolique relevant d'un imaginaire politique partagé. Celui-ci est élaboré par le discours à travers la sélection de références historiques, de symboles nationaux et de représentations positives de la France. En mobilisant des procédés tels que le pronom inclusif nous, des lexiques valorisants et des projections vers l'avenir.

Cette notion appartient au champ de l'analyse du discours politique, qui envisage le langage comme une pratique de construction du sens et de légitimation. Dans cette perspective, le discours ne reflète pas uniquement une réalité, mais il participe à sa mise en forme aussi. La grandeur de la France peut ainsi être appréhendée comme une ressource discursive mobilisée pour produire de l'adhésion, renforcer la cohésion nationale et orienter l'action collective.

Les discours de vœux présidentiels ont fait l'objet de nombreuses études. Citons-en par exemple : *Vœux présidentiel à la nation : empathie politique ou politique du pathos* (Segue, 2023), étude centrée sur la manière dont le chef de l'État mobilise les affects pour faire adhérer le citoyen à son discours. *L'image présidentielle d'Emmanuel Macron à travers ses discours de vœux : une analyse de sa construction et de son évolution* (Océane, 2024), étude située dans une perspective diachronique, soulignant l'évolution de l'image du président à travers ses discours de vœux. Les travaux consacrés à la notion de grandeur de la France se sont principalement développés autour de l'étude de la pensée gaullienne, citons-en par exemple : *la grandeur. Politique étrangère du général de Gaulle* (Vaïsse, 1998).

Dans ce contexte, notre article vise à analyser la manière dont la notion de grandeur de la France est construite dans le discours de vœux à la nation en s'appuyant sur deux allocutions prononcées par Emmanuel Macron (vœux pour l'année 2025 et l'année 2026), envisagées non dans une perspective comparative, mais comme des réalisations d'un même genre.

- **La problématique**

La problématique qui guide cette étude peut être formulée ainsi : comment la notion de grandeur de la France est-elle construite et mise en scène dans le discours de vœux à la nation et en quoi cette construction reflète-t-elle les contraintes et les fonctions propres à ce genre discursif ?

D'autres questions surgissent :

Quels sont les procédés discursifs par lesquels la grandeur de la France est mise en scène dans le discours de vœux ?

En quoi le caractère ritualisé de ce genre discursif influence-t-il la construction de cette notion ?

Dans quelle mesure cette notion relève-t-elle d'un imaginaire politique orienté vers l'avenir et la mobilisation ?

Objectif

L'objectif de cet article est d'analyser la manière dont la notion de grandeur de la France est construite et mobilisée dans les discours de vœux à la nation d'Emmanuel Macron. Il s'agit de mettre en évidence les procédés discursifs par lesquels cette notion est mise en scène afin de comprendre comment elle participe à la représentation de la nation. Il s'agit de montrer que la référence à la grandeur nationale ne constitue pas un simple héritage rhétorique, mais qu'elle est réactualisée dans un contexte contemporain, où elle constitue une ressource centrale permettant de combiner représentation symbolique, cohésion collective et projection vers l'avenir.

1- Cadre théorique

1-1- Le discours politique comme pratique de construction du sens

L'étude de la notion de grandeur de la France dans les discours des vœux présidentiels fait partie du champ de l'analyse du discours, qui envisage le langage comme une pratique sociale indissociable des rapports de pouvoir et des contextes historiques. Dans cette perspective, le discours politique n'est pas une simple transmission d'information, mais constitue un espace de production de significations, de représentation et de légitimation. Comme le souligne Patrick Charaudeau (2005), le discours politique est « *un domaine de pratique sociale où se jouent des rapports de forces symboliques pour la conquête et la gestion d'un pouvoir* » (Charaudeau, 2005, cité dans Lamizet, 2006, p.190). En ce sens, il ne se contente pas de refléter une réalité préexistante, mais participe également à sa mise en forme symbolique.

Cette approche peut être articulée avec la notion de scène d'énonciation. Cette dernière renvoie à une configuration discursive par laquelle le locuteur construit, dans et par son discours, les conditions de sa prise de parole, en définissant sa position, celle de son destinataire et le cadre de l'interaction : « *en parlant de "scène d'énonciation", on met l'accent sur le fait que l'énonciation advient dans un espace institué, défini par le genre de discours, mais aussi sur la dimension constructive du discours, qui se "met en scène", instaure son propre espace d'énonciation.*» (Maingueneau, 2005, p.515, cité dans Charaudeau, 2015, p.10). Les discours des vœux présidentiels figurent dans une scène d'énonciation caractérisée par une dimension institutionnelle et symbolique au sein de laquelle la notion de grandeur de la France apparaît

comme une construction discursive permettant de produire une représentation valorisante de la nation et de structurer l'imaginaire politique collectif.

1-2- Le genre discursif des vœux présidentiels : ritualisation et symbolisation

Le discours des vœux est un sous-genre de discours au sein d'un ensemble plus large : les discours politiques (Océane, 2023, p.10). Il est un discours fortement ritualisé par lequel le chef de l'État s'adresse aux Français pour faire le bilan de l'année écoulée et leur présenter un ensemble de projections politiques pour l'année qui suit. Cette tradition a été instaurée par le général de Gaulle en 1960 (Djamshidi, 2017, p. 6). De plus, les vœux présidentiels permettent au président de réaffirmer publiquement son rôle symbolique en tant que garant de l'unité nationale et des valeurs de la République : *Les vœux cherchent une autre voie (voix) qui permette au chef de l'État [...] d'actualiser aux yeux de ces derniers le pacte Républicain selon lequel il doit incarner la nation sur un plan symbolique* (Segue, 2023, p.1).

Ce type de discours implique notamment la valorisation de la nation, la mise en avant de l'unité et la projection vers l'avenir : « *Le plan des discours de vœux doit être conçu pour rassembler le public en reconnaissant les difficultés passées et en montrant que l'avenir sera positif* » (Océane, 2023, p. 24). La référence à la grandeur de la France apparaît ainsi comme une composante attendue de ce rituel discursif, participant à la stabilisation d'une image positive et consensuelle de la France.

1-3- L'imaginaire politique et la construction de la nation

La notion de grandeur de la France s'inscrit également dans ce que l'on peut appeler un imaginaire politique, c'est-à-dire un ensemble de représentations collectives qui donnent sens à l'identité nationale. Selon Benedict Anderson[1], « *la nation est une communauté imaginée, construite à travers des récits communs, des symboles et des pratiques discursives (la langue) ou même un ennemi commun* » (Anderson, 1983, cité dans Marion, 2025, s.d.). « *L'apparition des nations s'explique, alors, par une faculté universelle qu'auraient les hommes à élaborer, par l'imagination, des liens communautaires »* (Anderson, 1996, p.214). Certes, le discours politique joue un rôle central dans cette construction, en produisant des représentations partagées de la nation et de son histoire.

Dans cette perspective, la grandeur peut être envisagée comme un élément structurant de cet imaginaire, permettant de donner sens à l'action collective et de renforcer le sentiment d'appartenance. Dans le cas français, la référence à la grandeur renvoie surtout au général de Gaulle qui a projeté l'image d'une France unie et indépendante (Nay, 2017, s.d.). Cette notion de grandeur est régulièrement réactualisée dans le discours politique, notamment dans les moments institutionnels forts comme les vœux présidentiels.

[1] Un historien irlandais qui est connu pour ses travaux sur le nationalisme, ainsi que sur l'histoire et la culture de l'Asie du Sud-Est. Il est surtout connu pour son ouvrage majeur *Imagined Communities. Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*, paru en 1983 (traduction française 1996, *l'Imaginaire national : réflexion sur l'origine et l'essor du nationalisme*, Paris, La découverte).

1-4- La grandeur comme ressource discursive dans le contexte contemporain

Il nous convient d'analyser la manière dont la notion de grandeur est réactualisée dans le discours politique contemporain, précisément dans les interventions d'Emmanuel Macron. Contrairement à son usage dans le discours gaullien, où elle est associée à une vision d'indépendance nationale forte (Nay, ibid), la grandeur apparaît aujourd'hui comme une ressource discursive plus large et mobilisée dans un contexte marqué par des incertitudes politiques, économiques et sociales. Elle peut remplir plusieurs fonctions : symbolique (en valorisant la nation), consensuelle (en favorisant l'unité) et mobilisatrice (en orientant l'action vers l'avenir). La grandeur apparaît comme un outil central du discours présidentiel permettant d'articuler la représentation de la nation et la légitimation du pouvoir.

1-5- Les procédés linguistiques dans l'analyse du discours politique

L'étude du discours politique suppose également l'examen des choix linguistiques par lesquels le sens et construit et orienté. En effet, les temps verbaux, les pronoms personnels, les modalisations, les isotopies lexicales et les figures de style permettent de comprendre comment le discours produit une image particulière de la nation.

a- Les temps verbaux

D'après Océane (2023), le passé composé est fréquemment utilisé pour dresser le bilan de l'année précédente et valoriser les réalisations nationales. Le présent de l'indicatif construit une réalité commune au président et aux

citoyens. Quant au futur simple, il inscrit l'action politique dans une dynamique prospective.

b- Les modalisation et l'engagement politique

Selon Kerbrat-Orecchioni (2009, p. 112), les modalisateurs désignent « les procédés signifiants qui signalent le degré d'adhésion du sujet d'énonciation aux contenus énoncés ». Ainsi, les verbes modaux (devoir, pouvoir, falloir) et les adverbes traduisent l'obligation, la possibilité, la nécessité ou encore la certitude.

c- Les pronoms personnels

Les pronoms personnels jouent un rôle essentiel dans la construction de la relation entre le locuteur et son auditoire. Dans le discours politique, l'emploi du pronom nous associe le président à l'ensemble de la communauté nationale. De même, le pronom vous établit un lien direct avec les citoyens. Tandis que le je montre la responsabilité présidentielle.

d- Les isotopies lexicales

L'isotopie selon Greimas est « la répétition signifiante d'unités linguistiques quelle que soit leur nature (Greimas, 1966, cité dans Kherbache, 2010, p.127). Dans le discours de vœux, les isotopies de l'unité, de l'espérance et du progrès sont très fréquentes et participent à la construction d'une représentation valorisante de la nation.

e- Les figures de style

Les anaphores, les accumulations, les hyperboles ou encore les antithèses permettent de mettre en relief certaines idées, de susciter l'émotion et de valoriser l'État.

2- Analyse de la notion de grandeur dans les discours de vœux présidentiels

L'analyse des discours de vœux à la nation prononcés par Emmanuel Macron permet d'interroger la manière dont la notion de grandeur de la France est construite dans un cadre discursif spécifique. Loin d'être explicitement définie, cette notion se déploie à travers un ensemble de procédés linguistiques et rhétoriques qui contribuent à produire une représentation valorisante et partagée de la nation.

En tant que genre fortement ritualisé, le discours de vœux à la nation répond à des attentes symboliques précises : il s'agit à la fois de dresser un bilan, de renforcer la cohésion nationale et de projeter une vision de l'avenir. Dans ce contexte, la mobilisation de la grandeur apparaît comme une ressource discursive centrale, permettant d'articuler ces différentes fonctions.

L'analyse s'appuie sur deux discours de vœux (2025, 2026), envisagés non dans une perspective comparative, mais comme des réalisations d'un même genre discursif. Elle vise à mettre en relief les modalités de construction de la grandeur à travers cinq dimensions : une grandeur ritualisée, inscrite dans les contraintes de ce genre, une grandeur symbolique, produite par la mise en scène de la nation, une grandeur collective, fondée sur la construction d'un *nous* national, une grandeur consensuelle, qui neutralise les tensions au profit de l'unité, enfin, une grandeur prospective, orientée vers l'avenir.

Dans cette perspective, la grandeur est appréhendée comme une construction discursive participant à l'élaboration d'un imaginaire politique, au sein duquel la nation est présentée comme une communauté unie, capable de se projeter vers l'avenir.

2-1- Une grandeur ritualisée : une construction attendue du discours de vœux

Comme nous l'avons déjà montré, le discours de vœux à la nation constitue un genre discursif fortement ritualisé, dans lequel la mobilisation de représentations valorisantes de la nation apparaît comme un élément attendu. Dans les discours de vœux prononcés par Emmanuel Macron, la grandeur nationale est principalement construite par la temporalité du discours, la répétition et les procédés d'amplification.

Dès le début du discours de 2025, le président a déclaré : « *Ensemble cette année, nous avons prouvé qu'impossible n'était pas français* » le choix du passé composé est très significatif, il maintient un lien avec le présent de l'énonciation, à savoir que les actions accomplies restent pertinentes au moment où le président s'adresse aux Français. Ce temps verbal permet de transformer les réalisations de l'année en preuves de la capacité de la nation à surmonter et à réussir. La grandeur est ici conçue comme le résultat d'une expérience collective, demeurant dans la mémoire nationale. Cette stratégie est renforcée par une anaphore verbale remarquable : « *nous avons été* », « *nous avons continué* », « *nous avons célébré* », « *nous nous sommes souvenus* », « *nous avons organisé* ». Cette répétition de « *nous avons* » produit un effet d'amplification, de mise en relief et d'assertivité (Magri-

Mourgues, 2015). En effet, chaque proposition ajoute une nouvelle réussite et construit un récit des réalisations de la nation. L'accumulation présente des événements divers, réforme constitutionnelle, Jeux olympiques, commémoration, reconstruction de Notre-Dame, comme un récit de grandeur.

D'ailleurs, nous avons remarqué l'emploi d'une isotopie de la réussite, fondée sur des unités lexicales valorisantes : prouver, bâtir, célébrer, réussir, rayonner, tenir notre rang, audace, panache. Par ces termes, la France apparaît comme une nation capable de transformer les difficultés en succès.

Macron affirme dès l'ouverture : « *Grâce à l'engagement de tous, grâce à vous, nous tenons. Oui, notre pays tient* ». Le présent de l'indicatif fonctionne comme un présent d'énonciation (Orecchioni, 1980). Il donne une valeur immédiate à la solidarité nationale. La répétition du verbe *tenir* constitue un procédé d'insistance, la France tient malgré les crises. Cette représentation est renforcée par une un ensemble d'énoncés : « *fort de ses institutions, fort de ses services publics, fort de ses armées, fort de notre économie, fort de notre recherche*… ». Cette répétition autour de la préposition *fort de* constitue une anaphore syntaxique produisant un effet de grandeur. De plus, l'adjectif *fort* attribue à la France une qualité positive et qui devient inhérente à son identité. La succession des compléments, *institution, services publics, armées, économie, recherche, diplomate,* représente la puissance nationale. La grandeur n'est plus exclusivement militaire ou historique ; elle devient institutionnelle, scientifique, économique et diplomatique.

Cette vision de la grandeur distingue d'ailleurs Macron de Charles de Gaulle. Chez ce dernier, la grandeur repose principalement sur la souveraineté

nationale, l'indépendance et le rang international de la France (Nay, ibid). Chez Macron, cette dimension demeure présente, mais elle est élargie à d'autres formes de puissance : l'innovation scientifique, la recherche ou encore le rayonnement culturel.

Enfin, la ritualisation du discours se manifeste par l'articulation constante ente le bilan et la projection. Ainsi, après avoir rappelé les réalisations passées ou les ressources présentes, Macron ouvre une perspective vers l'avenir grâce au futur simple : « *nous protégerons », « nous poursuivrons », « nous bâtirons ».* Le futur simple ne présente seulement des mesures gouvernementales, il fonctionne aussi comme instrument de mobilisation collective. Cette organisation temporelle reliant le passé, le présent et le futur est l'une des spécificités du discours de vœux : la grandeur est toujours projetée vers l'avenir et vers ce qui reste à réaliser et construire.

2-2- Une grandeur symbolique : entre représentation et mise en scène de la nation

Dans les discours analysés, la grandeur se manifeste principalement sur un plan symbolique, à travers un ensemble de représentations valorisantes comme le choix du lexique, des figures d'amplification et des référence historiques.

L'un des premiers procédés mobilisés est le recours à un lexique axiologique positif. Comme le souligne Orecchioni (1980, p. 30), les termes évaluatifs permettent au locuteur d'inscrire son jugement dans le discours et d'orienter l'interprétation du destinataire. Dans les deux discours, le président utilise abondamment des substantifs et des adjectifs valorisant tels que *fort, libre,*

uni, solidaire, indépendant, audace, panache, espérance, fraternité et *progrès*. Ces unités lexicales donnent une image idéalisée de la nation.

Ainsi, dans le discours de 2025, Macron déclare : « *Une France pleine d'audace, de panache, follement libre* ». Cette séquence repose sur une accumulation de termes axiologiques positifs. Les substantifs *audace* et *panache* associés à l'adverbe intensif *follement* relèvent d'un procédé d'amplification. L'adverbe *follement* est une hyperbole, puisqu'il suggère une liberté exceptionnelle ; cela a pour fonction de susciter l'émotion collective et de construire une représentation héroïque de la France.

Le discours de 2026 suit une stratégie similaire lorsque Macron affirme : « *notre pays tient. Fort de ses institutions, fort de ses services publics, fort de ses armées…, fort de notre économie…, fort de notre recherche* …». La répétition de la structure fort de constitue une anaphore syntaxique produisant un effet de persuasion.

La grandeur est aussi construite par l'emploi de symboles nationaux. Les référence à Notre-Dame de Paris, aux Jeux olympiques ou encore à la résistance dépassent leur dimension événementielle. Elles deviennent des emblèmes de l'identité française ; ce que le discours de 2025 affirme : « Notre-Dame rebâtie demeure le symbole de notre volonté française ». Le substantif *symbole* guide l'interprétation du destinataire. La cathédrale n'est plus seulement un monument reconstruit ; elle devient la représentation de la capacité de la nation à relever les défis. Le verbe *demeurer*, conjugué au présent, confère une dimension permanente à cette valeur. La grandeur est conçue comme une qualité durable de la France.

Le même procédé apparaît lorsque Macron évoque les Jeux olympiques : « *Entrés dans l'Histoire, entrés dans nos mémoires, dans nos cœurs* » cette formulation exprime une gradation. L'événement progresse de l'histoire collective vers la mémoire puis vers l'émotion individuelle. Les Jeux olympiques réside ainsi dans la mémoire nationale. La grandeur n'est pas représentée uniquement dans l'organisation de l'événement, mais aussi dans sa capacité à produire une expérience collective.

Le discours de 2026 évoque les symboles liés à l'État : « Les forces de sécurité, les sapeurs-pompiers, les bénévoles, les soignants…». Cette énumération valorise les acteurs qui assurent quotidiennement la cohésion nationale. Il s'agit d'une accumulation. La grandeur n'est plus incarnée exclusivement par les institutions ; elle est attribuée à l'ensemble des citoyens engagés dans le service de la nation.

D'ailleurs, l'isotopie de la résilience est présente dans les deux discours. Les verbes *tenir, rebâtir, protéger, résister, bâtir, investir, rayonner* appartiennent au champ sémantique de l'action et de la reconstruction. La grandeur est conçue comme une ressource d'action.

Enfin, cette représentation symbolique s'inscrit dans une tradition du discours présidentiel français. Depuis le général de Gaulle, la grandeur de la France est constamment associée à son rang national, à son indépendance et à sa capacité d'influence (Nay, ibid). Emmanuel Macron reprend cet héritage en élargissant les fondements. Il ajoute l'excellence scientifique, l'innovation technologique, la transition écologique et le rayonnement culturel. La grandeur devient ainsi une notion plus global, adaptée aux défis contemporains.

2-3- Une grandeur collective : le *nous* national

Une spécificité centrale dans le discours de vœux réside dans sa dimension collective. La nation n'est pas représentée comme une entité abstraite ou une réalité incarnée par le chef de l'État, elle apparaît comme une communauté de citoyens unis par une histoire, des valeurs et un avenir commun. Cette représentation s'appuie sur des procédés énonciatifs précis, notamment l'emploi des pronoms personnels, des désignations collectives et la répétition d'expressions inclusives qui effacent les frontières entre le président et les citoyens.

Dans le discours de 2025, la répétition de structures telles que « *nous avons été la première Nation* », « *nous avons continué de bâtir* », « *nous avons réussi* » représente une action collective. Le *nous* inclut à la fois le locuteur et les citoyens, créant ainsi une communauté discursive unifiée. Le président attribue le succès à l'ensemble de la communauté nationale. Cette stratégie contribue à faire de la grandeur une valeur collective.

Dans le discours de 2026, cette dimension est explicitement formulée dans « *grâce à l'engagement de tous*, *grâce à vous, nous tenons. Oui notre pays tient* » la président passe de *tous* à *vous* puis à *nous*. Cette succession établit une continuité entre le chef de l'État et les citoyens. Le pronom *vous* désigne l'engagement des destinataires, tandis que le *nous* réunit le locuteur et les allocutaires. Cette construction fait de la grandeur le résultat d'un effort collectif.

L'emploi des déterminants possessifs participe également à cette stratégie. Les expressions « notre pays », « notre économie », « nos armées », « notre recherche », « nos enfants» multiplient les marques d'appartenance

collective. La grandeur collective est également construite par une isotopie de la communauté nationale. Les substantifs *compatriotes, Français, nation, République, citoyens, commune, territoires* font de la grandeur un projet partagé. Cette isotopie est renforcée par l'emploi de structures telles que : « *chacun d'entre vous aura un rôle à jouer. Chacun d'entre vous sera nécessaire* ». La répétition de *chacun d'entre vous* constitue une anaphore qui marque la contribution de chaque individu dans un projet collectif. La grandeur nationale dépend ainsi de l'engagement personnel de tous les membres de la communauté et ne repose pas uniquement sur les institutions.

Cette logique apparaît également dans le discours de 2026 : « *Chaque Française, chaque Français a un rôle à jouer pour relever les défis qui sont devant nous ; chacun d'entre nous est nécessaire* ». La répétition de *chaque* introduit une distribution des responsabilités. C'est-à-dire qu'aucun citoyen n'est exclu de la nation.

Enfin, cette construction discursive du collectif est omniprésente dans la tradition républicaine française. Depuis les discours du général de Gaulle, l'appel au nous national est l'un des fondements des propos présidentiels (Labbé, 1998, p.4). Toutefois, Macron élargit cette valeur pour qu'elle englobe la participation de tous les citoyens.

2-4- Une grandeur consensuelle : neutralisation des tensions et production de l'unité

Le discours de vœux tend à neutraliser les conflits pour projeter une image unificatrice de la nation. Dans le discours de 2025, le président reconnaît

explicitement les difficultés : « *Je dois bien reconnaître ce soir que la dissolution a apporté, pour le moment, davantage de division à l'Assemblée que de solutions pour les Français* » l'expression *je dois bien reconnaître* constitue une modalisation énonciative. Elle marque une prise de distance par rapport au discours de certitude et donne une image de sincérité. Le verbe *devoir* exprime ici une nécessité morale de reconnaître une réalité. Cette modalisation renforce la crédibilité du locuteur. Cependant, cette reconnaissance est immédiatement vue d'une manière positive : « *L'Assemblée actuelle représente néanmoins le pays dans sa diversité* ». Le connecteur *néanmoins* joue ici un rôle central. Il permet de transformer une situation de crise en une manifestation de la démocratie. La diversité politique n'est pas une faiblesse ; elle est une caractéristique de la nation. Ce procédé discursif participe à la neutralisation du conflit.

Le même mécanisme se trouve dans le discours de 2026 : « *Je vois aussi nos propres divisions nos doutes, la solitude croissante*…». L'accumulation des substantifs *divisions, doute, solitude construit* une isotopie de fragilité. Toutefois, cette représentation négative est rapidement suivie d'une proposition orientée vers l'action : « *Ces urgences exigent des réponses* ». Le présent de l'indicatif a une valeur de nécessité immédiate. Il implique l'obligation d'agir. La grandeur nationale ne consiste pas à nier les difficultés, mais à démontrer la capacité de la nation à les surmonter.

Cette orientation est amplifiée par l'emploi des verbes modaux : « *Nous devons défendre notre indépendance* », « *Il faut agir* », « *Nous pouvons rendre la vie meilleure* ». *Devoir* exprime l'obligation, *falloir* la nécessité, tandis que *pouvoir* la possibilité. La grandeur apparaît ainsi comme une responsabilité.

De même, le président déclare aussi « *ainsi va la vie des grandes nations qui tiennent chaque jour par le dévouement de leurs citoyens* » le présent de vérité générale transforme uns situation particulière en principe universel. En présentant les difficultés comme inhérentes à toute grande nation.

Nous avons remarqué le recours à une opposition lexicale entre les difficultés et les valeurs positives dans les deux discours : division/unité, crises/espérance, guerre/paix, doute/confiance, instabilité/stabilité, faiblesse/force. Cette organisation antithétique marque une visée argumentative. Les difficultés sont évoquées afin de mettre davantage les solutions proposées.

Ainsi, la grandeur n'est pas l'absence de crise et de difficultés, mais elle est la capacité à les surmonter collectivement.

2-5- Une grandeur prospective : un horizon de projection et de mobilisation

Enfin, la grandeur de la France dans le discours de vœux se caractérise par sa dimension prospective. Elle ne se limite pas à la valorisation du passé ou du présent, mais elle se situe également dans une projection vers l'avenir.

Le premier procédé marquant est le recours massif au futur simple. Dans le discours de 2025, Macron déclare : « *La France devra continuer d'investir pour son réarmement militaire* », « *L'Europe devra accélérer pour prendre en main sa défense* ». L'emploi du verbe devoir au futur simple exprime une nécessité politique. La grandeur nationale est conçue comme une exigence d'action et de responsabilité.

La même stratégie apparaît dans le discours de 2026 : « *Nous protégerons nos enfants et nos adolescents des réseaux sociaux et des écrans* », « *Nous irons au bout du travail législatif* », «*Je ferai tout pour que l'élection présidentielle se déroule le plus sereinement possible* ». Le futur simple possède une valeur de promotion. Les verbes *protéger, aller, faire* construisent une image d'un pouvoir en action. La grandeur est présentée comme un projet partagé entre le président et les citoyens.

Cette projection est renforcée par uns isotopie du progrès : *avenir, innovation, croissance, technologies, intelligence artificielle, recherche, prospérité*. Cette isotopie associe la grandeur à la capacité de la France à préparer le monde de demain. Le discours de 2025 illustre clairement cette idée : « *Pour que nos enfants vivent mieux que nous, il faut aussi que s'inventent en France et en Europe les technologies qui façonnent le monde de demain* ». La grandeur est une responsabilité envers les générations futures. Les verbes *inventer* et *façonner* appartiennent au champ lexical de la création. Le discours de 2026 présente la même perspective : « *Ne renonçons pas au progrès. Ne renonçons pas aux grandes découvertes scientifiques. Ne renonçons pas à l'amour de la science et de la recherche* ». Cette séquence repose sur une anaphore. La répétition de *ne renonçons pas* crée un rythme qui transforme le discours en un appel collectif. La négation fonctionne comme une injonction à préserver les valeurs considérées comme constitutives de la grandeur nationale. Cette vision élargit le champ de la grandeur pour qu'elle repose sur le savoir, l'innovation et la connaissance.

Enfin, la dimension prospective est renforcée par l'évocation des horizons temporels. Le discours de 2025 mentionne 2050, tandis que celui de 2026 prépare l'élection présidentielle de 2027. Cette représentation s'inscrit dans

la tradition présidentielle française depuis de Gaulle, pour qui la grandeur était inséparable d'une vision à long terme de la nation (Nay, ibid). Néanmoins, Macron renouvelle cette tradition en associant la projection vers l'avenir aux enjeux contemporains : innovation scientifique, transition écologique, intelligence artificielle, souveraineté européen et recherche. La grandeur n'est plus seulement un héritage, elle devient anticipation.

Notre analyse des discours de vœux de 2025 et 2026 souligne que la grandeur de la France constitue une construction discursive soigneusement structurée. Elle étroitement liée aux contraintes et aux fonctions du genre des vœux présidentiels. Loin d'être une simple valorisation ponctuelle, elle relève d'une stratégie discursive cohérente qui articule plusieurs dimensions complémentaires.

D'une part, la grandeur apparaît comme une composante ritualisée du discours. Les vœux présidentiels évoquent des références historiques et mémorielles qui réaffirment la continuité de la nation. D'autre part, elle se déploie sur un plan symbolique, à travers une mise en scène d'un lexique valorisant, des accumulations et des hyperboles. Macron construit l'image d'une France capable de rayonner par son histoire, sa culture et sa capacité d'innovation. L'étude met en évidence une grandeur collective, fondée sur la construction d'un nous inclusif. Les pronoms personnels, les déterminants possessifs et les anaphores associent le président, les institutions et les citoyens dans un même projet collectif. La grandeur n'est plus attribuée exclusivement au président ; elle devient le produit de la mobilisation de l'ensemble de la communauté nationale.

Par ailleurs, les discours de vœux remplissant une fonction consensuelle. Les difficultés économiques, sociales ou politiques ne sont pas cachées. Elles sont intégrées dans une argumentation qui renforce l'unité nationale. Les modalisations et les oppositions lexicales permettent de transformer les tensions en facteurs de mobilisation collective.

Enfin, la grandeur de la France est caractérisée par sa dimension prospective. Grâce au recours au futur simple, aux verbes de projection et aux références constantes à l'avenir, les discours proposent un horizon d'action qui engage les citoyens dans un projet commun. Certes, la grandeur de la France, telle qu'elle se manifeste dans les discours de vœux d'Emmanuel Macron, ne renvoie pas uniquement à des réalisations concrètes, mais elle se situe aussi dans un imaginaire politique qui contribue à structurer la représentation de la nation et à renforcer sa cohésion symbolique.

Conclusion

Cet article avait pour objectif d'étudier la manière dont la notion de grandeur est construite dans les discours de vœux d'Emmanuel Macron aux Français. L'analyse a mis en lumière le rôle central de la notion de grandeur dans la construction de la parole présidentielle. Loin d'être une simple référence valorisante, la grandeur apparaît comme une construction discursive produite par des choix linguistiques, énonciatifs et rhétoriques propres au genre des vœux présidentiels.

En effet, un discours de vœux se caractérise par sa dimension ritualisée, qui implique la réaffirmation d'une image positive de la nation. La grandeur se

manifeste alors comme une évidence, produite par des procédés symboliques qui contribuent à la mise en scène d'une France forte et stable. La grandeur de la nation se construit également comme une réalité collective, fondées sur l'intégration des citoyens dans un *nous* national, et comme un principe consensuel, permettant de dépasser les tensions en faveur d'une représentation unificatrice. Par ailleurs, la grandeur de la France se déploie dans une perspective prospective, en orientant le discours vers l'avenir et en participant à la mobilisation des citoyens autour d'un projet commun.

Ces résultats montrent que la grandeur de la France, telle qu'elle est construite dans les discours de vœux d'Emmanuel Macron, relève d'une catégorie discursive autonome, organisée autour d'un ensemble de procédés linguistiques : temps verbaux, modalisations, pronoms personnels et isotopies lexicales. Ces procédés servent à valoriser la France et à lui donner une représentation historique, politique et symbolique.

Cette recherche a proposé une lecture linguistique de la grandeur. Elle a mis en lumière que les discours de vœux ne se réduisent ni à un protocole ni à un bilan gouvernemental, mais constituent un moment privilégié de production de l'imaginaire politique.

Enfin, notre étude ouvre des perspectives de recherche, en invitant à explorer la manière dont la notion de grandeur est exploitée dans d'autres genres discursifs ou dans d'autres contextes politiques, dans le but de mieux comprendre ses variations et ses enjeux dans le contexte contemporain.

Annexe

a- Le discours de vœux d'Emmanuel Macron prononcé le 31 décembre 2024 (Élysée, consulté le 20 février 2026)

Mes chers compatriotes,

Ensemble cette année, nous avons prouvé qu'impossible n'était pas français.

Nous avons été la première Nation à modifier notre Constitution pour garantir le droit des femmes à interrompre volontairement leur grossesse. Nous avons fait avancer l'égalité femmes-hommes entre autres grâce au courage de celles qui ont su dénoncer. Nous avons continué de bâtir une écologie de progrès, de lutter contre le changement climatique en baissant nos émissions, en ouvrant des usines, en continuant aussi de nous battre pour notre présent et notre avenir.

Nous avons célébré la bravoure de nos Résistants et de ceux qui nous ont libérés, 80 ans après, de la Normandie à la Provence. Nous nous sommes souvenus, de ceux tombés pour que la France se relève. Nos héros, nos aînés, nos alliés, ceux venus de tous les continents pour libérer la patrie. Nous avons eu aussi, comme promis il y a un an, des moments de grande fierté. D'abord, nous avons organisé cet été des Jeux olympiques et paralympiques, aussitôt entrés dans l'Histoire, entrés dans nos mémoires, dans nos cœurs qui ont fait vibrer un pays uni, de Saint-Denis à Tahiti, et ont montré une France pleine d'audace, de panache, follement libre.

Une France qui rayonne avec ses exploits sportifs, ses émotions, sa générosité, une ville de Paris magnifiée. Nos Jeux Olympiques et Paralympiques, oui, sont et resteront un moment inoubliable de la vie de la

Nation. En ce mois de décembre 2024, comme nous l'avions promis, nous avons rendu au culte et rouvert au public Notre-Dame de Paris. Cinq ans après l'incendie de 2019, Notre-Dame rebâtie demeure le symbole de notre volonté française.

Des milliers de compagnons, d'artisans, de femmes et d'hommes ont rebâti la cathédrale jour après jour pendant ces cinq années. Elle a été rendue à tous et le monde entier a pu admirer ce travail. Demain, sachons garder le meilleur de ce que nous avons été durant cette année 2024. Unis, déterminés, solidaires et face à chacune des grandes épreuves, face à ce que tant et tant disaient impossible, nous avons réussi parce que nous avons été ensemble.

Unis, déterminés et solidaires, nous l'avons aussi été face aux épreuves et aux drames de 2024 : les catastrophes climatiques, la crise que traversent encore aujourd'hui nos agriculteurs que nous continuerons de protéger et de soutenir, les tensions dans plusieurs de nos territoires et le ralentissement économique mondial.

Ensemble, nous sommes aujourd'hui aux côtés des habitants de Mayotte auxquels nous pensons avec émotion et fraternité. Et nous sommes et serons bien entendu aux côtés de l'ensemble de nos territoires d'Outre-mer, depuis les Antilles jusqu'à la Nouvelle-Calédonie, qui a tant souffert ces derniers mois.

Nous sommes aussi confrontés à l'instabilité politique, elle n'est pas propre à la France, nous le voyons aussi chez nos amis Allemands qui viennent de dissoudre leur Assemblée. Mais cela nous inquiète légitimement. Je dois bien

reconnaître ce soir que la dissolution a apporté, pour le moment, davantage de divisions à l'Assemblée que de solutions pour les Français.

Si j'ai décidé de dissoudre c'était pour vous redonner la parole, pour retrouver de la clarté et éviter l'immobilisme qui menaçait. Mais la lucidité et l'humilité commandent de reconnaître qu'à cette heure, cette décision a produit plus d'instabilité que de sérénité et j'en prends toute ma part.

L'Assemblée actuelle représente néanmoins le pays dans sa diversité, et donc aussi dans ses divisions. Elle est pleinement légitime et dans cette configuration inédite mais démocratique, elle doit savoir dégager des majorités, comme le font d'ailleurs les Parlements des grandes démocraties, et notre gouvernement doit pouvoir tenir un chemin de compromis pour agir.

Je remercie ici Michel BARNIER, qui après Elisabeth BORNE et Gabriel ATTAL, s'est engagé avec sincérité, et j'adresse tous mes vœux à François BAYROU et à son gouvernement.

Je souhaite que l'année qui s'ouvre soit celle du ressaisissement collectif, qu'elle permette la stabilité, les bons compromis pour prendre les bonnes décisions au service des Français. Car nous ne pouvons pas nous permettre d'attendre. L'année 2025 doit être une année d'action, une année utile pour vous et pour vous permettre de vivre mieux. Le pouvoir d'achat, le travail, la sécurité, la justice, aider aussi nos élus et nos associations : pour tout cela, il est nécessaire d'adopter un budget.

Nous pouvons rendre la vie meilleure en nous mettant d'accord sur quelques sujets simples : faciliter la vie de tous ceux qui travaillent dur, améliorer la sécurité au quotidien, juger plus vite et permettre à chaque famille d'avoir

accès à la meilleure instruction pour ses enfants, à la santé et aux services publics de base. A nous de le faire donc.

L'année 2025 doit aussi être une année d'unité, de responsabilité pour bâtir une France plus forte, plus indépendante face aux dérèglements du monde. Les guerres en Ukraine et au Proche-Orient ne sont pas des conflits lointains. Elles nous concernent directement et menacent notre sécurité, notre unité, notre économie. Les derniers évènements en Syrie, la manipulation des élections en Moldavie, en Géorgie, en Roumanie, les attentats terroristes en Europe et dans notre voisinage, montrent combien notre sécurité et le bon fonctionnement de nos démocraties ne sont jamais acquis.

C'est pourquoi l'Europe ne peut plus déléguer à d'autres puissances sa sécurité et sa défense. En 2025, la France devra continuer d'investir pour son réarmement militaire, pour garantir notre souveraineté, la protection de nos intérêts et la sécurité de nos compatriotes. Et l'Europe devra quant à elle accélérer pour prendre en main sa défense, sa sécurité, ses frontières. C'est ce pour quoi je me bats depuis tant d'années et ce que nous avons commencé à bâtir avec nos partenaires européens, et que nous poursuivrons.

Nous devons lucidement voir que le monde avance plus vite et bouscule nombre de nos certitudes. Ce que nous tenions pour acquis ne l'est plus. Il n'y aura pas de prospérité sans sécurité et la France, par sa puissance diplomatique et militaire, à cet égard, a toujours un rôle à jouer.

Pour que nos enfants vivent mieux que nous, il faut aussi que s'inventent en France et en Europe les technologies et les entreprises qui façonneront le monde de demain, notre avenir, notre croissance : l'intelligence artificielle,

les révolutions du quantique, de l'énergie, de la biologie pour ne citer que quelques-uns de ces chantiers.

Les Européens doivent en finir avec la naïveté. Dire non aux lois du commerce édictées par d'autres et que nous sommes les seuls à encore respecter, dire non à tout ce qui nous fait dépendre des autres, sans contrepartie et sans préparer notre avenir.

A l'inverse il nous faut le réveil européen, réveil scientifique, intellectuel, technologique, industriel, réveil agricole, énergétique et écologique. Il faut pour cela aller plus vite, prendre nos décisions plus rapidement, plus fortement en Européens, simplifier nos règles pour nos compatriotes comme nos entreprises et investir davantage.

Cela suppose une France qui continue d'être attractive, qui travaille et innove plus, qui continue de créer des emplois et qui assure sa croissance en tenant ses finances. J'y veillerai. Depuis sept ans, nous avons réussi à résister aux pires crises, tout en baissant le chômage, tout en réindustrialisant et en attirant les inventions du monde entier.

Nous avons de nouveau prouvé cette année notre capacité à tenir notre rang dans des secteurs d'avenir, avec par exemple le lancement d'Ariane 6 ou le raccordement du nouveau réacteur nucléaire de Flamanville. Là se bâtit notre indépendance et nous devons rester forts et crédibles au cœur d'une Europe qui doit accélérer. A nous donc, collectivement, de faire, car 2025 imposera l'audace et le sens des décisions.

Mes chers compatriotes, les grandes Nations sont celles qui, dans les moments de crise, de doute, savent voir loin, se détacher des polémiques du

quotidien pour bâtir l'avenir et prendre un temps d'avance. Nous y sommes. C'est pourquoi, en 2025, nous tiendrons le cap.

Nous sommes à un quart de siècle. Une partie des promesses de l'an 2000 ont été tenues mais tant de désordres, de déséquilibres sont apparus aussi. Alors pour le quart de siècle qui vient, je veux que nous puissions décider et agir, avec 2050 en ligne de mire. Nous aurons des choix à faire pour notre économie, notre démocratie, notre sécurité, nos enfants. Oui, l'espérance, la prospérité et la paix du quart de siècle qui vient dépendent de nos choix, aujourd'hui.

C'est pour cela qu'en 2025 nous continuerons de décider et je vous demanderai aussi de trancher certains de ces sujets déterminants. Car chacun d'entre vous aura un rôle à jouer. Chacun d'entre vous sera nécessaire pour réussir ce projet que je viens rapidement de brosser devant vous. Oui, comme pour les grands chantiers qui ont fait notre Histoire, et encore l'année qui vient de s'écouler, chacun d'entre vous est nécessaire pour bâtir une Nation et une République plus belles encore. C'est pour cela que je nous souhaite pour 2025 d'être unis, déterminés et fraternels. Très belle, très heureuse année 2025 à vous et à vos proches. Vive la République. Vive la France.

b- Le discours de vœux d'Emmanuel Macron prononcé le 31 décembre 2025 (Élysée, consulté le 20 février 2026)

Françaises, Français, mes chers compatriotes,

J'ai, en ce soir de 31 décembre, une pensée avant tout pour ceux qui assurent la continuité de la Nation : forces de sécurité, sapeurs-pompiers, bénévoles,

soignants, travailleurs, tous ceux qui sont ce soir comme toujours en première ligne face aux difficultés. Protéger, soigner, nourrir, aider, apporter secours et fraternité, ainsi va la vie des grandes nations qui tiennent chaque jour par le dévouement de leurs citoyens. J'ai une pensée en votre nom à tous, pour celles et ceux qui sont seuls, malades, dans l'épreuve ou le dénuement. Je sais comme la situation est difficile pour beaucoup d'entre vous, placés devant des souffrances personnelles et les malheurs de la vie, et je veux vous dire notre soutien et notre affection.

Grâce à l'engagement de tous, grâce à vous, nous tenons. Oui, notre pays tient. Fort de ses institutions, de ses services publics, fort de ses armées qui sont les plus efficaces d'Europe, par l'engagement de ses soldats. Fort de notre économie, où jamais autant de Français n'ont eu un emploi, où la croissance se tient et où notre inflation est l'une des plus faibles de la zone euro. Fort de notre recherche, de notre excellence académique, de nos initiatives diplomatiques aussi, qu'il s'agisse de celles prises pour la paix, le climat ou nos océans.

Mais au-delà de tout cela, nul n'est aveugle sur les désordres du monde et nos propres failles. Notre monde est plus dur chaque jour. La guerre et l'instabilité continuent d'être là, au Proche et au Moyen-Orient, avec des conséquences sur nos économies, nos intérêts, parfois notre cohésion. Et la guerre continue de sévir sur le sol européen, avec une intensité particulière depuis que la Russie a décidé d'une nouvelle agression de l'Ukraine voilà bientôt 4 ans. Nous assistons au retour des empires, à la remise en cause de l'ordre international, un monde de guerres commerciales, de compétition technologique, souvent d'instabilité.

Je vois aussi nos propres divisions, nos doutes, la solitude croissante qui existe dans la société, la baisse de notre natalité, l'insécurité, les difficultés de pouvoir d'achat.

Je sais toutes les impatiences, parfois les colères, qui continuent d'exister dans le pays et je partage plusieurs d'entre elles. Ces urgences exigent des réponses. Dès les premières semaines de l'année qui s'ouvre, le Gouvernement et le Parlement auront à bâtir des accords pour doter la nation d'un budget. C'est indispensable.

Dès le début de l'année 2026, il faudra agir, soutenir nos agriculteurs face aux crises et les protéger de décisions qui peuvent menacer notre capacité à produire, comme notre sécurité alimentaire. Renforcer encore notre économie en simplifiant les règles pour nos entrepreneurs, comme pour nos agriculteurs. Persévérer dans nos efforts contre l'insécurité, contre toutes les formes d'incivilité, et mener sans relâche la lutte contre les trafics de drogue sous toutes leurs formes.

Continuer à reprendre le contrôle de nos frontières françaises et européennes face à l'immigration illégale, poursuivre la formation de nos enseignants et donner les moyens à l'école comme au collège de mieux transmettre les savoirs fondamentaux, reconnaître les compétences de nos médecins en ville comme à l'hôpital, en simplifiant leur exercice et en leur permettant de davantage décider et d'organiser leur activité. Mettre en œuvre une décentralisation concrète et radicale, construite avec nos élus de terrain pour simplifier le fonctionnement du pays, faire des économies et répondre aussi, par là même, aux aspirations légitimes de la Corse et de plusieurs territoires d'Outre-mer. Pour tout cela, et j'aurais pu égrener ici tous les chantiers qui

nous attendent, je sais le Gouvernement à la tâche et le Premier ministre déterminé à être utile au pays et je veux ce soir les en remercier sincèrement. Cela supposera aussi la mobilisation de chacun et les efforts de tous.

Cette année, se tiendront aussi les élections municipales dans nos communes. Et je veux redire ce soir à tous les maires, à nos élus, ma reconnaissance et ma gratitude envers eux. Ils ont été durant ces dernières années de tous les combats, de toutes les crises à mes côtés et à votre service. Cette année doit donc être et sera une année utile.

Je veillerai tout particulièrement à ce que plusieurs grands chantiers puissent aboutir. Nous verrons les premiers pas du service national pour l'engagement de nos jeunes, qui renforcera le lien entre nos armées et la nation. Nous protégerons nos enfants et nos adolescents des réseaux sociaux et des écrans. Nous irons, enfin, au bout du travail législatif sur la question de la fin de vie dans la dignité, sujet sur lequel je m'étais engagé, devant vous en 2022.

À la fin de l'année, quand le moment sera venu, s'ouvrira peu à peu la prochaine campagne pour l'élection présidentielle de 2027, la première à laquelle je ne participerai pas depuis 10 ans. Pour autant, je serai, jusqu'à la dernière seconde, au travail, tâchant chaque jour d'être à la hauteur du mandat que vous m'avez confié, et je ferai tout pour que l'élection présidentielle se déroule le plus sereinement possible, en particulier à l'abri de toute ingérence étrangère.

Au-delà des chantiers à mener, je veux avoir, pour notre nation, trois vœux.

D'abord, un vœu d'unité. Quels que soient les défis, notre histoire nous enseigne que nous pouvons tout relever, tout affronter, si nous savons rester unis. N'oublions donc jamais que nos raisons de vivre ensemble sont chaque jour plus fortes que ce qui peut nous diviser, que les flots des urgences, des faits divers ou des mauvaises nouvelles. Notre unité suppose de lutter sans relâche contre l'antisémitisme, contre le racisme, contre toutes les formes de discrimination. Notre unité exige de reconnaître que chaque Française, chaque Français a un rôle à jouer pour relever les défis qui sont devant nous, que chacun d'entre nous est nécessaire et doit être encouragé et reconnu. Oui, dans notre vie de chaque jour, au fond, je nous souhaite plus de bienveillance et plus d'humanité.

Mon deuxième vœu est un vœu de force, d'indépendance. Alors que la loi du plus fort tente de s'imposer dans les affaires du monde et que notre Europe est assaillie de toutes parts, nous devons défendre notre indépendance et nos libertés.

Notre indépendance exige que nous continuions d'investir dans nos armées, dans nos forces de sécurité, dans nos services publics et notre économie malgré les difficultés financières. Depuis 10 ans, j'ai beaucoup plaidé et nous avons beaucoup fait pour renforcer en Européens cette indépendance et il nous faut accélérer. L'Europe de la défense a longtemps été un débat, elle a commencé de se faire et en 2026, cela accélérera.

Dès le 6 janvier prochain, à Paris, de nombreux États européens et alliés prendront des engagements concrets pour protéger l'Ukraine et assurer une paix juste et durable sur notre continent européen. Protégeons aussi notre Europe industrielle et agricole, en instaurant des règles de commerce loyales,

justes vis-à-vis du reste du monde. Osons être une vraie puissance qui assume une préférence européenne pour ses emplois, ses entreprises. Bâtissons une Europe indépendante dans l'industrie spatiale, le quantique ou l'intelligence artificielle. Il en va de notre prospérité en France comme en Europe.

Mon dernier vœu est un vœu d'espérance, espérance pour nous-mêmes et pour nos enfants.

Ne renonçons pas. Ne renonçons pas au progrès, encore possible à condition de le bâtir, de travailler dur, d'investir dans la durée et de reconnaître que les avancées véritables ne se font pas en un jour, mais qu'elles prennent parfois le temps d'une génération.

Ne renonçons pas à réconcilier climat, biodiversité, croissance et indépendance. Ne renonçons pas aux grandes découvertes scientifiques, à l'amour de la science et de la recherche, aux succès économiques.

Ne renonçons pas à la place de la lecture, du beau, de la culture. Ne renonçons pas chaque jour à être une nation plus solidaire, plus fraternelle. Oui, au fond, je nous souhaite de résister à l'ère du temps, tout simplement, car nous sommes français. Nous devons tenir bon sur ce que nous chérissons, l'humain, la paix, la liberté. Nous y arriverons. Alors, regardons devant et regardons loin, comme citoyens et comme nation.

Mes chers compatriotes de France hexagonale, de nos Outre-mer et vivants à l'étranger, je vous souhaite une très belle, une très heureuse année 2026.

Vive la République ! Vive la France !

- **Bibliographie**

1- ANDERSON, B. (1996). L'Imaginaire national. Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme, Paris, La Découverte. 214 pages, traduit de l'anglais par Pierre-Emmanuel Dauzat.

2- CHARAUDEAU, P. (2015). « De la "scène d'énonciation" au "contrat" aller-retour ». *Analyse du discours et dispositifs d'énonciation. Autour des travaux de Dominique Maingueneau*, éditions Lambert-Lucas, pp. 109-116.

3- DJAMSHIDI, A. (2017). « Les vœux présidentiels : une tradition républicaine depuis De Gaulle », Le Parisien, consulté le 1 mars 2026. https://www.leparisien.fr/politique/les-voeux-presidentiels-une-tradition-republicaine-depuis-de-gaulle-31-12-2017-7477638.php.

4- Élysée. Consulté le 20 février 2026. https://www.elysee.fr/emmanuel-macron/2025/12/31/voeux-aux-francais-pour-2026

5- Élysée. Consulté le 20 février 2026. https://www.elysee.fr/emmanuel-macron/2024/12/31/voeux-aux-francais

6- KERBRAT-ORECCHIONI, C. (2009). *L'énonciation. De la subjectivité dans le langage*. Armand Colin, Paris. 257 pages. Quatrième édition.

7- KHERBACHE, A. (2010). « Les isotopies sémantiques et leur fonctionnement ». Université d'Annaba Synergies Algérie n° 11. pp.

127-139. Consulté le 10 juillet 2026 https://gerflint.fr/Base/Algerie11/ali.pdf

8- LABBÉ, D. (1998). « Le "nous" du général de Gaulle ». Quaderni di studi linguistici. 4/5, p 331-354. Consulté le 15 juillet 2026. https://shs.hal.science/halshs-00675362v1

9- LAMIZET, Bernard (2006). « Patrick Charaudeau (2005), le discours politique. Les masques du pouvoir », Communication, vol. 24/2 Consulté le 20 février 2026. https://journals.openedition.org//communication/3435

10- MAGRI-MOURGUES, V. (2015). « L'anaphores rhétorique dans le discours politique. L'exemple de N. Sarkozy». Semen. Consulté le 10 juillet 2026. https://journals.openedition.org/semen/10319

11- MARION, C. (2025). « Les nations sont-elles des " communautés imaginées "? À propos de Benedict Anderson, L'imaginaire national. Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme ». Encyclopédie d'histoire numérique de l'Europe. Consulté le 20 février 2026. https://ehne.fr/fr/node/22590.

12- NAY, C. (2017) https://www.europe1.fr/emissions/la-carte-blanche-de-catherine-nay/la-grandeur-de-la-france-de-de-gaulle-a-macron-691484

13- OCÉANE, P. (2023). L'image présidentielle d'Emmanuel Macron à travers ses discours de vœux : une analyse de sa construction et de son évolution. Mémoire en analyse du discours. Université de Toulon.

14- SEGUE, W. (2023). « Vœux présidentiels à la nation : empathie politique ou politique du pathos ? ». Open Edition Journal. Consulté le 14 février 2026. https://doi.org/10.4000/corpus.7633

15- SLUNGE, E. (2025). L'ethos discursif du président Macron après la dissolution en 2024. Mémoire en sciences du langage. Université de Stockholm

16- VAÏSSE, M. (1998). La Grandeur. Politique étrangère du Général de Gaulle, 1958-1969. Fayard, 730 pages.

فلسفة التربية وبناء الإنسان الهشّ في المجتمعات المتأزمة

طالبة الدكتوراه: بيداء غسان بارود
قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة اللاذقية
اشراف الأستاذ الدكتور: أ.د غسان علاء الدين
قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة اللاذقية

الملخّص

يسعى البحث إلى الكشف عن العلاقة الجدلية بين التربية بوصفها فعلاً فلسفياً وأخلاقياً، وبين تشكّل ما يسمّى بـ«الإنسان الهشّ» في سياقات الأزمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعيشها مجتمعات عديدة، وفي مقدّمتها المجتمعات العربية المعاصرة. وينطلق البحث من فرضية مفادها أنّ التربية حين تفقد أفقها الفلسفي وتتحوّل إلى أداة تكيّف وتطويع، فإنّها تنتج ذاتاً إنسانية مأزومة، فاقدة للقدرة على المقاومة والتأويل والاختيار، وهو ما يطلق عليه بتلر مفهوم «الحياة القابلة للحداد» في مقابل الحياة التي لا تُحتسب أصلاً بوصفها حياة. واعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، مستنداً إلى أدبيات فلسفة التربية الغربية والعربية، من أجل بناء تصوّر نظري لمفهوم الهشاشة التربوية، وتفكيك آلياتها، واقتراح مداخل فلسفية لتجاوزها نحو تربية تحرّرية قادرة على إعادة الاعتبار للإنسان بوصفه كائناً قيمياً لا مجرد وظيفة اجتماعية. ويخلص البحث إلى أنّ إعادة بناء الإنسان في المجتمعات المتأزمة تستلزم تربية تقوم على النقد والمعنى والمسؤولية، لا على الامتثال والخوف.

الكلمات المفتاحية: فلسفة التربية – الإنسان الهشّ – المجتمعات المتأزمة.

The philosophy of education and building the fragile individual in crisis-ridden societies

Abstract:

This research seeks to explore the dialectical relationship between education—as a philosophical and ethical act—and the formation of the so-called "fragile human" within the contexts of social, political, and economic crises experienced by many societies, particularly contemporary Arab ones. The study proceeds from the premise that when education loses its philosophical horizon and transforms into a tool for adaptation and conformity, it produces a human subject in crisis—one devoid of the capacity for resistance, interpretation, and choice. This state contrasts with what Judith Butler terms a "grievable life," as opposed to a life that does not count as a life at all. Employing a critical-analytical approach and drawing upon Western and Arab philosophy of education literature, the research constructs a theoretical framework for the concept of "educational fragility," deconstructs its mechanisms, and proposes philosophical avenues to transcend it. It advocates for a transformative, emancipatory education capable of restoring the human being's status as a bearer of values rather than merely a social function. The study concludes that reconstructing the human subject in societies in crisis requires an education grounded in critique, meaning, and responsibility, rather than in conformity and fear.

Keywords: Philosophy of education – The fragile human – Societies in crisis.

المقدّمة

لم تعد التربية، في زمننا الراهن، ذلك الفعل البريء الهادئ الذي يقتصر على نقل المعرفة من جيل إلى جيل، بل غدت ساحة صراع رمزي تتقاطع فيها السياسة بالاقتصاد، والدين بالإيديولوجيا، والذاكرة بالمستقبل. ومن هذا المنطلق فإنّ التفكير الفلسفي في التربية لا يمكن أن ينفصل عن التفكير في شروط الوجود الإنساني ذاته، ذلك أنّ كل فلسفة للتربية هي في جوهرها فلسفة للإنسان الذي نريد أن نصنعه أو الذي نخشى أن يتشكّل من غير قصد «لا تتحوّل الأزمة إلى كارثة إلا حين نواجهها بأحكام جاهزة مسبقة، أي بأحكام مسبقة متحيّزة» (Arendt, 1961, p. 174)

وتزداد هذه الإشكالية تعقيداً حين ننقل السؤال من سياق الاستقرار إلى سياق الأزمة؛ فالمجتمعات المتأزمة – الحروب، الانهيارات الاقتصادية، الاستبداد السياسي، التفكك الاجتماعي – لا تنتج مواطناً عادياً يمرّ بمسار تربوي معتاد، بل تنتج، في الغالب، كائناً هشّاً، مثقلاً بالخوف والقلق الوجودي، فاقداً للثقة بالمستقبل، ومهدَّداً في أبسط شروط كرامته الإنسانية .(بتصرف: Bauman, 2000, p 45) ومن هنا يحاول هذا البحث أن يفكّك العلاقة بين فلسفة التربية السائدة في هذه المجتمعات وبين إنتاج هذا النمط من الهشاشة الإنسانية، سعياً إلى استكشاف ممكنات تربوية بديلة.

ويتّخذ البحث من مفهوم «الهشاشة» Vulnerability مدخلاً تحليلياً مركزياً، بوصفه مفهوماً فلسفياً لا نفسياً محضاً، إذ ترى بتلر أنّ الهشاشة سمة وجودية مشتركة بين البشر جميعاً، غير أنّ توزيعها غير عادل، وأنّ بعض الفئات والمجتمعات تُترك أكثر عرضة للأذى والإهمال من غيرها بفعل بنى القوة والسلطة .(بتصرف: Butler, 2004, p20) وحين تتحوّل هذه الهشاشة الوجودية إلى هشاشة بنيوية دائمة، بفعل غياب تربية نقدية تحرّرية، فإنّها تنتج ما نسمّيه في هذا البحث «الإنسان الهشّ» بوصفه نمطاً أنثروبولوجياً متكرراً في المجتمعات المتأزمة.

وليس المقصود بـ«الإنسان الهشّ»، في سياق هذا البحث، ذلك الكائن العاجز عجزاً مطلقاً، بل هو، على وجه الدقة، الذات التي فقدت – جزئياً أو كلياً – قدرتها على التأويل الحرّ لتجربتها الخاصة، فباتت ترى في كل تحوّل خارجي مصيراً محتوماً لا فعلاً تاريخياً قابلاً للفهم والمساءلة والتغيير. وهذا الفقدان، من زاوية فلسفية، أخطر من الفقر المادي ذاته، لأنه فقدان للذاتية بوصفها مركزاً للفعل والمعنى، لا مجرد نقص في الموارد يمكن تعويضه بالمساعدات والإغاثة العابرة.

مشكلة البحث:

تتحدّد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

كيف تسهم فلسفة التربية السائدة، بمناهجها وخطاباتها الضمنية، في إنتاج الإنسان الهشّ داخل المجتمعات المتأزمة، وما السبيل الفلسفي إلى تربية بديلة تعيد بناء الذات الإنسانية على أساس من الوعي والمسؤولية والمقاومة الرمزية؟

ويتفرّع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما مفهوم الهشاشة الإنسانية من منظور فلسفي؟

2- ما العلاقة بين أزمة المجتمع وأزمة التربية؟

3- ما ملامح تربية تحرّرية قادرة على بناء إنسان متماسك في سياقات الأزمة المستمرة؟

ويكتسب هذا السؤال طابعاً فلسفياً خالصاً حين نلاحظ أنه لا يتعلّق بمجرد كيفية تحسين مخرجات التعليم من الناحية الكمّية أو المهارية، بل يتعلّق بالسؤال الأعمق عن نمط الوجود الإنساني الذي تنتجه منظومة تربوية بعينها؛ فكل فلسفة للتربية تحمل، ولو ضمنياً، تصوراً معيناً عن الإنسان الذي ينبغي أن يكون، وعن علاقته بالحرية والسلطة والمعرفة والآخر. ومن هنا فإنّ مساءلة فلسفة التربية في المجتمعات المتأزمة هي، في جوهرها، مساءلة لصورة الإنسان التي نرضاها أو نرفضها لأنفسنا وللأجيال القادمة.

أهمية البحث:

تكمن أهميةالبحث في كونه يعالج قضية راهنة وملحّة تخصّ مجتمعات عربية عديدة تعيش منذ عقود حالة أزمة ممتدة، حرباً وتهجيراً وانهياراً اقتصادياً، وهو ما يجعل السؤال عن مصير الإنسان الذي تُنتجه هذه السياقات سؤالاً وجودياً بامتياز، لا يقلّ أهمية عن الأسئلة السياسية والاقتصادية المباشرة. كما يسهم البحث في إثراء الأدبيات الفلسفية العربية بمقاربة تجمع بين فلسفة التربية الغربية المعاصرة، من أمثال فريريوأرندتوموران، وبين الفكر الفلسفي العربي النقدي، من أمثال الجابري وحرب وحجازي، بما يخدم بناء رؤية عربية أصيلة لإشكالية الهشاشة الإنسانية.

وتزداد أهمية هذا البحث حين نلاحظ أنّ أدبيات فلسفة التربية العربية، على غزارتها النسبية في الجانب النظري العام، ما تزال شحيحة في معالجتها المباشرة لسؤال الهشاشة الإنسانية بوصفه سؤالاً فلسفياً مستقلاً بذاته، إذ غالباً ما يُختزل هذا السؤال في أدبيات علم النفس التربوي أو الخدمة الاجتماعية من غير تأصيل فلسفي كافٍ لأبعاده الوجودية والأخلاقية. ومن هنا فإنّ هذا البحث يحاول سدّ هذه الفجوة عبر مقاربة فلسفية تُبقي السؤال النفسي والاجتماعي حاضراً، لكنها لا تختزل فيه، بل تردّه إلى أصوله الفلسفية الأعمق المتعلقة بمعنى الإنسان وكرامته وحريته.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- تحليل مفهوم الهشاشة الإنسانية من منظور فلسفي تربوي.

2- الكشف عن الآليات التي تُنتج بها فلسفة التربية السائدة الإنسانَ الهشّ في سياقات الأزمة.

3- دراسة نماذج فلسفية تحرّرية في التربية (فريري، أرندت، موران) وإمكان توظيفها في السياق العربي.

4- اقتراح ملامح نظرية لتربية فلسفية تعيد بناء الإنسان المتماسك في المجتمعات المتأزمة.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي القائم على قراءة النصوص الفلسفية التربوية الغربية والعربية قراءة تفكيكية مقارنة، مع توظيف المنهج التأويلي في فهم مفاهيم الهشاشة والأزمة والتحرّر، وذلك بالرجوع إلى مصادر أصلية موثّقة في فلسفة التربية وعلم الاجتماع الفلسفي وعلم النفس الوجودي.

الدراسات السابقة:

تباينت الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع هذا البحث بين ما تناول فلسفة التربية عند أحد أعلامها الغربيين بشكل مفرد، وما تناول قضية الهشاشة الإنسانية من زاوية فلسفية أو نفسية اجتماعية، دون أن تجمع بين الاثنين معاً في سياق الأزمة كما يفعل هذا البحث. ويمكن استعراض أبرزها على النحو الآتي:

1) دراسة بلباشة، وبن اسماعين بعنوان «أزمة التربية عند حنة أرندت – أمريكا نموذجاً» (مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2023)، وقد تناولت هذه الدراسة مقال أرندت الشهير «أزمة التربية» بوصفه تشخيصاً لأزمة سياسية بامتياز في النظام التعليمي الأمريكي، انطلاقاً من قراءة النص الأرندتي ذاته. تتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي في اعتماد أرندت مرجعاً أساسياً لتفسير أزمة التربية المعاصرة، إلا أنها اقتصرت على السياق الأمريكي ولم تربط الأزمة بمفهوم الهشاشة الإنسانية ولا بالسياق العربي المتأزم، وهو ما يمثّل الفجوة التي يسعى هذا البحث إلى سدّها.

2) دراسة قادم معمر بعنوان «فلسفة التعليم الحواري عند باولو فريري نحو رؤية تربوية تحررية» (مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 18، العدد 1، 2026، ص 162–169)، وقد ركّزت على تحليل مفهوم الحوار عند فريري بديلاً عن التعليم البنكي، بوصفه رؤية تربوية تحررية. يلتقي هذا البحث معها في استثمار فلسفة فريري الحوارية، لكنه يتجاوزها بربط هذه الفلسفة بإشكالية الهشاشة الإنسانية في سياقات الأزمة تحديداً، وهو بعد لم تتطرق إليه الدراسة المذكورة.

3) دراسة Zembylas, M. (2018) بعنوان «The Ethics and Politics of Precarity: Risks and Productive Possibilities of a Critical Pedagogy for Precarity» المنشورة في مجلة Studies in Philosophy and Education (المجلد 38، العدد 2، ص 95–111)، وهي أقرب الدراسات الأجنبية لموضوع هذا البحث، إذ وظّفت مفهوم بتلر عن «الهشاشة» (yPrecarit) لبناء تصوّر لتربية نقدية تستجيب لواقع الهشاشة المعاصرة. يتفق هذا البحث معها في المرجعية الفلسفية (بتلر) وفي الاهتمام بالبعد الأخلاقي للتربية، غير أنها اقتصرت على السياق الغربي الأكاديمي البحت ولم تتناول لا الفكر العربي النقدي ولا سياقات الأزمة الممتدة (حرب، انهيار اقتصادي) التي يتناولها هذا البحث تحديداً.

وبناءً على ما تقدّم، تتحدّد الفجوة البحثية التي يسعى هذا البحث إلى سدّها في غياب دراسة عربية تجمع، من منظور فلسفي تكاملي، بين فلسفة التربية الغربية المعاصرة (أرندت، فريري، بتلر) وبين الفكر

الفلسفي العربي النقدي (الجابري، حرب، طه عبد الرحمن، حجازي)، لتحليل نمط «الإنسان الهشّ» بوصفه نتاجاً تربوياً وفلسفياً لسياقات الأزمة العربية الممتدة تحديداً، وهو ما لم تتناوله أيٌّ من الدراسات السابقة مجتمعة.

المبحث الأول: مفهوم الهشاشة الإنسانية من منظور فلسفي

الهشاشة، بوصفها مفهوماً فلسفياً، ليست عيباً عارضاً يلحق ببعض الأفراد دون غيرهم، بل هي – كما تذهب بتلر – شرط وجودي أصيل يلازم الكائن البشري منذ لحظة ولادته، إذ يولد الإنسان في حالة اعتماد كامل على الآخر، ويظلّ هذا الاعتماد أثراً بنيوياً في تكوينه النفسي والاجتماعي طوال حياته «ينكسر المرء أمام الآخر: بلمسته، برائحته، بإحساسه به» (Butler, 2004, p. 24) غير أنّ هذه الهشاشة الوجودية العامة تتحوّل، في ظلّ علاقات القوة غير المتكافئة، إلى هشاشة موزّعة بشكل غير عادل، بحيث تُترك جماعات بأكملها في العراء، مكشوفة أمام العنف والحرمان والإهمال المؤسسي، في حين تُصان جماعات أخرى بفعل امتيازها الطبقي أو السياسي .(بتصرف: Butler, 2004, p 55)

ومن زاوية أخرى، يربط زيغمونت باومان مفهوم الهشاشة بما يسمّيه «الحداثة السائلة»، حيث تفقد المؤسسات التقليدية – الأسرة والمدرسة والدولة – صلابتها ووظيفتها الحامية، ويجد الفرد نفسه وحيداً أمام مخاطر لا يملك أدوات لمواجهتها، مطالَباً بأن يبتكر ذاته وحياته باستمرار من غير ضمانات جماعية تحميه «ما يجمع أشكال الحياة الحديثة كافة هو هشاشتها ووقتيّتها وقابليّتها الدائمة للتغيّر» (Bauman, 2000, p. 1) وهذا ما يجعل الهشاشة في السياق المعاصر ظاهرة بنيوية مرتبطة بتحلّل الروابط الاجتماعية أكثر من ارتباطها بضعف فردي عابر.

أمّا أولريش بيك فيقدّم مقاربة مكمّلة حين يتحدّث عن «مجتمع المخاطر»، الذي تتوزّع فيه الأخطار – البيئية والاقتصادية والأمنية – بصورة تتجاوز الحدود الطبقية التقليدية، بحيث يصبح كل فرد، من حيث المبدأ، معرّضاً للمخاطر ذاتها التي كانت في السابق حكراً على الفئات المهمّشة «الفقر تراتبي، أما الدخان [ضبابُ التلوّث] فديمقراطي» (Beck, 1992, p. 36) وحين تقترن هذه المخاطر الموضوعية بضعف البنى التربوية القادرة على تجهيز الفرد بوعي نقدي يواجه بها، فإنّ نتيجتها الحتمية هي تعميق الشعور بالهشاشة الوجودية والعجز عن الفعل.

وفي الموروث الفلسفي العربي، يقترب مصطفى حجازي من هذا المعنى حين يحلّل «سيكولوجية الإنسان المقهور»، مبيّناً أنّ التخلّف الاجتماعي ليس مجرّد نقص في الموارد، بل هو بنية نفسية اجتماعية تُنتج إنساناً مهزوز الثقة بذاته، عاجزاً عن المبادرة، يعيش في حالة اغتراب دائم عن فعله وعن مصيره (بتصرف: حجازي، 1976، ص. 62). وهذا التوصيف يقترب كثيراً مما نسمّيه في هذا البحث «الإنسان الهشّ»، بوصفه ذاتاً فقدت قدرتها على التأويل الحرّ لعالمها ولمصيرها.

وينبغي التنبيه أيضاً إلى أنّ الخطاب الفلسفي المعاصر حول الهشاشة لا يخلو من نزعة تمجيدية أحياناً، تكاد تحوّل الهشاشة إلى قيمة أخلاقية إيجابية في ذاتها، بوصفها انفتاحاً على الآخر ورفضاً لأوهام الاكتفاء الذاتي؛ غير أنّ هذا البحث يميّز بوضوح بين هشاشة وجودية أصيلة يمكن أن تكون مصدر تواضع أخلاقي وانفتاح على الغير، وبين هشاشة بنيوية مفروضة قسراً على فئات بعينها بفعل الحرمان والإقصاء، وهي الهشاشة التي يتوجّب على الفلسفة والتربية معاً أن تسعيا إلى مقاومتها لا إلى تجميلها أو الاحتفاء بها.

ويمكن القول، تأسيساً على ما سبق، إنّ الهشاشة الإنسانية تتشكّل عند تقاطع ثلاثة أبعاد: بُعد وجودي أصيل يلازم كل إنسان بوصفه كائناً محدوداً ومعتمداً على غيره، وبُعد بنيوي اجتماعي سياسي ينتج عن اختلال موازين القوة وتوزيع المخاطر، وبُعد تربوي معرفي يتعلّق بمدى امتلاك الفرد أدوات نقدية وقيمية تمكّنه من مواجهة هشاشته الأصيلة بدل الاستسلام لها. وهذا البعد الثالث هو ما يشكّل موضوع المباحث التالية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الهشاشة، بهذا المعنى الفلسفي، تختلف اختلافاً جوهرياً عن الضعف الفيزيائي أو العجز الجسدي؛ فهي أقرب إلى ما يسمّيه بعض الفلاسفة الوجوديين «القلق الأنطولوجي»، أي ذلك الشعور الملازم للوعي الإنساني بمحدوديته وتناهيه أمام عالم لا يضمن له شيئاً. غير أنّ هذا القلق الأصيل يمكن أن يتحوّل، بفعل التربية والثقافة، إمّا إلى طاقة دافعة نحو الإبداع والمسؤولية، وإمّا إلى شلل وجودي يورث الخوف والانسحاب من الفعل، وهو ما يحدث غالباً حين تغيب التنشئة القادرة على تحويل القلق إلى وعي بنّاء..

ومن المفيد أيضاً التمييز بين «الهشاشة» و«الضعف» Weakness، إذ إنّ الضعف صفة تلحق بالفرد بمعزل عن السياق، في حين أنّ الهشاشة علاقية بامتياز، تتشكّل في صلب العلاقة بين الذات وبنى القوة المحيطة بها؛ فالإنسان القوي جسدياً وعقلياً قد يكون هشّاً اجتماعياً وسياسياً إن انعدمت

الحماية المؤسسية من حوله، والعكس صحيح كذلك في بعض الأحيان. وهذا التمييز يفتح الباب أمام تفكير تربوي لا يكتفي بتقوية الفرد نفسياً، بل يسعى أيضاً إلى إصلاح البنى الاجتماعية التي تنتج الهشاشة أصلاً.

المبحث الثاني: أزمة المجتمع وأزمة التربية – جدلية التأسيس

ترى حنة أرندت أنّ التربية تقف دائماً على الحدّ الفاصل بين القديم والجديد، بين العالم الذي يقدّمه الكبار وبين الوافدين الجدد الذين يحملون في داخلهم إمكان البدء من جديد؛ ومن هنا فإنّ أزمة التربية، في جوهرها، هي أزمة في العلاقة بين الأجيال، وفي قدرة الكبار على تقديم عالم جدير بأن يُستقبَل ويُواصَل «من صميم الشرط الإنساني أنّ كل جيل جديد ينمو داخل عالم قديم» (Are, ndt, 1961، 192 .p). وحين ينهار هذا العالم بفعل الحرب أو الاستبداد أو الانهيار الاقتصادي، فإنّ التربية تفقد سندها الموضوعي، وتتحوّل إلى فعل قلق يتأرجح بين الحفاظ على الماضي المتصدّع وبين الخوف من مستقبل مجهول.

وتتعمّق هذه الأزمة حين تتحوّل المؤسسة التربوية ذاتها إلى أداة ضبط وإخضاع بدل أن تكون فضاء للتحرّر؛ وهو ما يحلّله ميشيل فوكو حين يبيّن أنّ المدرسة الحديثة وُلدت من رحم آليات المراقبة والانضباط ذاتها التي أنتجت السجن والثكنة، القائمة على التراتب الهرمي والامتحان المستمر والتطبيع القسري للسلوك «الروح هي سجن الجسد» (Foucault, 1975, p. 30) وفي المجتمعات المتأزمة، حيث تتضاعف الحاجة إلى الضبط الاجتماعي من أجل احتواء الفوضى، تميل السلطة السياسية إلى تسخير التربية أداةً لإنتاج مواطن مطواع لا مواطن ناقد، وهو ما يرسّخ الهشاشة بدل أن يعالجها.

ويقدّم باولو فريري تشخيصاً موازياً حين يصف «التعليم البنكي» الذي يتعامل مع المتعلّم بوصفه وعاءً فارغاً يُودَع فيه المعرفة الجاهزة من غير حوار ولا نقد، مبيّناً أنّ هذا النمط التربوي يُعيد إنتاج علاقات القهر القائمة في المجتمع داخل جدران الفصل الدراسي ذاته، فيتحوّل المتعلّم إلى كائن سلبي يستبطن صورة القاهر ويكرّرها لاحقاً في علاقاته الاجتماعية «يصبح التعليم بذلك فعل إيداع، إذ يكون الطلاب هم المستودَعات والمعلّم هو المودِع» (Freire, 1970, p. 72) وهذا ما يفسّر، من منظور فلسفي، كيف يمكن لتربية تبدو محايدة في ظاهرها أن تكون في جوهرها أداة لإعادة إنتاج الأزمة بدل تجاوزها.

وعلى الصعيد العربي، يذهب محمد عابد الجابري إلى أنّ أزمة العقل العربي المعاصر ترتبط ببنية معرفية موروثة تقوم على التلقين والاتباع بدل النقد والاستقلال المعرفي، وأنّ هذه البنية تتغلغل في النظام التربوي فتعيد إنتاج نفسها جيلاً بعد جيل (بتصرف: الجابري، 1984، ص. 44). ويؤكّد فؤاد زكريا هذا التوصيف حين يشير إلى أنّ الخطاب التربوي والثقافي العربي كثيراً ما يستبدل الحجة العقلية بالتبرير الإيديولوجي، بما يضعف قدرة الأجيال الجديدة على مساءلة واقعها (بتصرف: زكريا، 1987، ص. 29–30).

أمّا علي حرب فيذهب إلى أنّ النخب الفكرية والتربوية العربية نفسها كثيراً ما تسهم في ترسيخ هذه الأزمة حين تكتفي بخطاب نقدي شكلي لا يمسّ بنى السلطة الفعلية، فتتحوّل التربية إلى ممارسة تُعيد إنتاج «أوهام النخبة» أكثر مما تُنتج وعياً تحرّرياً حقيقياً (بتصرف: حرب، 1998، ص. 88). وهكذا تتضح جدلية التأسيس بين أزمة المجتمع وأزمة التربية: فكل منهما يغذّي الآخر ويعيد إنتاجه، بحيث تصبح التربية، بدل أن تكون مخرجاً من الأزمة، أحد أهمّ آلياتها الخفية.

ولعلّ ما يزيد هذه الجدلية تعقيداً أنّ الأزمة الممتدة تُحدث، مع مرور الوقت، ما يمكن تسميته بـ«تطبيع الاستثناء»، أي أن تتحوّل الحالة الاستثنائية – انقطاع الدراسة، غياب الأمن، تبدّل المناهج بحسب موازين القوة المحلية – إلى نمط اعتيادي يُدرَج ضمن التوقعات العادية للمتعلّم والمربّي على السواء، فتفقد الأزمة صفتها الصادمة التي كانت قد تستنهض رد فعل نقدي جماعي، وتتحوّل بدل ذلك إلى خلفية صامتة للحياة اليومية. وهذا التطبيع، من منظور فلسفي، أخطر من الأزمة الصريحة ذاتها، لأنه يُخمد أي احتمال للمساءلة الجذرية لشروط الوجود المأزوم، ويُبقي الفرد أسير أفق محدود يظنّه هو الأفق الطبيعي الوحيد الممكن.

غير أنّ طه عبد الرحمن يقدّم تنبيهاً منهجياً مهماً حين يشير إلى أنّ نقد الأزمة لا يكفي وحده لتجاوزها، بل لا بدّ من تأسيس فلسفي أخلاقي يعيد الاعتبار للفعل الائتماري القائم على الثقة والمسؤولية المشتركة بين المربّي والمتربّي، باعتباره الشرط الأول لأي تربية حقيقية تُخرج الإنسان من هشاشته (بتصرف: عبد الرحمن، 2006، ص. 112).

ويمكن أن نضيف إلى هذا التحليل ملاحظة عبد الله العروي حول أزمة «مفهوم العقل» في الثقافة العربية المعاصرة، إذ يرى أنّ الأزمة ليست أزمة أدوات أو موارد بقدر ما هي أزمة في طريقة التفكير ذاتها، أي في العلاقة بين الذات العارفة والعالم، وهي علاقة تتشكّل أساساً عبر التربية قبل أن

تتشكّل عبر أي مؤسسة أخرى (بتصرف: العروي، 1996، ص. 60). فحين تفشل التربية في تكوين عقل قادر على التصوّر المفهومي المجرّد والنقد المنهجي، فإنّها تُبقي الأزمة الفكرية العامة في حالة تكرار دائم من غير تجاوز حقيقي.

وتتضاف إلى ما سبق ملاحظة زكريا إبراهيم حول ازدواجية «مشكلة الإنسان» في الفكر المعاصر عموماً، بين نزعة تختزل الإنسان في بعده البيولوجي أو الاقتصادي، ونزعة أخرى تعليه إلى مرتبة مجردة من واقعه المعيش؛ ويرى إبراهيم أنّ التربية السليمة هي وحدها القادرة على إعادة التوازن بين هذين البعدين، بحيث تنظر إلى الإنسان في وحدته الجسدية والعقلية والقيمية معاً، لا في انقسامه إلى وظائف منفصلة (بتصرف: إبراهيم، 1976، ص. 54). وهذا التوازن هو بعينه ما تفتقر إليه غالباً المناهج التربوية في المجتمعات المتأزمة، التي تنزع إمّا نحو تعليم تقني نفعي محض، وإمّا نحو خطاب إيديولوجي مجرّد بعيد عن واقع المتعلّم اليومي.

وممّا يستحق الإشارة إليه أيضاً أنّ الأزمة التربوية في هذه المجتمعات لا تنشأ فقط من داخل المؤسسة التعليمية، بل تتفاعل مع أزمات موازية في مؤسسات التنشئة الأخرى – الأسرة والإعلام والمؤسسات الدينية – بحيث تفقد المدرسة احتكارها التقليدي لعملية التربية، وتجد نفسها في منافسة غير متكافئة مع خطابات إعلامية ورقمية سريعة الانتشار، عاطفية التأثير، تخاطب غرائز المتلقي أكثر مما تخاطب عقله؛ وهو ما يزيد من صعوبة أي مشروع تربوي نقدي يراهن على الزمن الطويل والتأمل الهادئ في مواجهة زمن الصورة السريعة والاستقطاب الحاد «إننا نعيش في أزمنة سائلة» (uman, Ba 2006، p. 1) وهذا ما يمهّد للانتقال إلى المبحث الثالث الذي يتناول آليات إنتاج الإنسان الهشّ بمزيد من التفصيل.

المبحث الثالث: آليات إنتاج الإنسان الهشّ في التربية المعاصرة

يمكن رصد أولى آليات إنتاج الهشاشة فيما يسمّيه إريك فروم «الخوف من الحرية»، إذ يبيّن أنّ الإنسان الحديث، حين يتحرّر من الروابط التقليدية القديمة من غير أن يمتلك بديلاً إيجابياً للحرية، يميل إلى الهروب منها نحو أشكال جديدة من الخضوع – الطاعة للسلطة الشمولية أو الذوبان في الجماعة – سعياً إلى تجنّب القلق الوجودي الناتج عن العزلة والمسؤولية الفردية «هل يمكن أن تصبح الحرية عبئاً ثقيلاً على الإنسان بحيث يحاول الهروب منها؟» (Fromm, 1941, p. 17) وحين لا تُعِدّ التربية

الفرد لتحمّل هذه الحرية بوعي ونضج، فإنّها تُنتج ذاتاً هشّة، جاهزة للانصياع لأي سلطة تعدها بالأمان مقابل التنازل عن استقلاليتها.

وتتمثّل الآلية الثانية في ضعف البعد المعنائي للتربية؛ فقد بيّن فيكتور فرانكل، انطلاقاً من تجربته في معسكرات الاعتقال، أنّ الإنسان قادر على مواجهة أقسى أشكال المعاناة متى امتلك معنى يوجّه حياته، وأنّ فقدان هذا المعنى – لا الحرمان المادي وحده – هو ما يفتّت البنية النفسية للفرد ويجعله فريسة سهلة لليأس «كلّ شيء يمكن أن يُنتزع من الإنسان إلا شيئاً واحداً: آخر الحريات الإنسانية، وهو أن يختار موقفه إزاء أيّ ظرف يُواجهه» (Frankl, 1946, p. 62) وحين تكتفي المناهج التربوية في المجتمعات المتأزمة بتلقين معلومات تقنية أو إيديولوجية جاهزة من غير مساعدة المتعلّم على بناء منظومة معنى خاصة به، فإنّها تترك فراغاً وجودياً يتحوّل، عاجلاً أو آجلاً، إلى هشاشة مزمنة.

وفي المقابل، يمكن أن نلاحظ أنّ الأزمة، من زاوية أخرى، قد تفرز أيضاً أشكالاً من الوعي المقاوم لدى أفراد وجماعات بعينها استطاعوا، رغم قسوة الظرف، أن يحوّلوا التجربة المأزومة إلى مصدر معنى ومسؤولية، وهو ما يذكّرنا بأنّ العلاقة بين الأزمة والهشاشة ليست علاقة سببية آلية حتمية، بل هي علاقة تتوسّطها التربية والوعي الفردي والجماعي؛ فالأزمة ذاتها يمكن أن تُنتج هشاشة أو مقاومة بحسب نوعية التنشئة التي رافقتها، وهذا بالضبط هو المدخل الفلسفي الذي يفتح الباب أمام إمكان تربية مضادة.

ويستحق التوقّف هنا عند تمييز فرانكل بين «معنى الحياة العام» و«معنى اللحظة الخاص»، إذ يرى أنّ الفرد لا يحتاج بالضرورة إلى فلسفة كلّية جاهزة عن معنى الوجود، بقدر ما يحتاج إلى القدرة على اكتشاف معنى جزئي في كل موقف يعيشه، مهما كان قاسياً، سواء عبر الفعل الخلّاق، أو عبر تجربة القيم كالحب والجمال، أو عبر الموقف الذي يتخذه الإنسان تجاه معاناة لا سبيل إلى تفاديها. «من كان له سبب يعيش من أجله، استطاع أن يتحمّل أي حال يمرّ به» (Fran76 .p ,1946 ,kl) وهذا التمييز يحمل دلالة تربوية بالغة الأهمية: فمهمة المربّي في المجتمعات المتأزمة ليست فرض منظومة معنى جاهزة على المتعلّم، بل تدريبه على مهارة اكتشاف المعنى بنفسه في مختلف مواقف حياته، وهي مهارة قابلة للتعلّم والتنمية أكثر مما هي معطى جاهز.

وتبرز آلية ثالثة فيما يسمّيه إدغار موران «التفكير المجزّأ»، أي تفتيت المعرفة إلى تخصّصات معزولة عن سياقها الإنساني والوجودي الأشمل، بحيث يتخرّج الفرد حاملاً معلومات متناثرة من غير قدرة على ربطها في رؤية كلّية للعالم ولذاته، وهو ما يسمّيه موران «عمى المعرفة» الناتج عن غياب تربية للتعقيد قادرة على الجمع بين الفهم العلمي والفهم الإنساني «التربية عمياء عن حقائق المعرفة الإنسانية... ولا تُعنى بتعليم ما هي المعرفة» (Morin, 2001, p. 11) وهذا التفتّت المعرفي يفاقم إحساس الفرد بالعجز أمام تعقيدات الأزمة التي يعيشها، إذ يفتقر إلى أدوات التفكير الكلّي القادرة على تفسيرها ومواجهتها.

أمّا الآلية الرابعة فتتعلّق بغياب البعد الأخلاقي المسؤول في العلاقة التربوية، وهو ما يمكن مقاربته من خلال فلسفة عمانوئيلليفيناس في «وجه الآخر»؛ إذ يرى ليفيناس أنّ المسؤولية الأخلاقية تنشأ من مواجهة وجه الآخر الذي يستنهض فينا واجب الرعاية قبل أي حساب عقلاني أو مصلحي «الكلمة الأولى للوجه هي: لا تقتل» (Levinas, 1961, p. 199) وحين تتحوّل العلاقة التربوية في المجتمعات المتأزمة إلى علاقة إدارية باردة، أو إلى علاقة قهر وتسلّط، فإنّها تُفقِد المتعلّم إحساسه بأنه موضوع رعاية أخلاقية حقيقية، فينكفئ على ذاته ويفقد الثقة بالعلاقات الإنسانية عموماً.

وتضيف مارثانوسباوم بعداً تكميلياً حين تحذّر من انحسار تعليم الإنسانيات – الفلسفة والأدب والفنون – لصالح تعليم تقني نفعي بحت، مبيّنة أنّ هذا الانحسار يُضعف قدرة الأجيال الجديدة على التعاطف والتخيّل النقدي، وهما ملَكتان أساسيتان لبناء مواطن ديمقراطي متماسك قادر على مواجهة الأزمات الجماعية «أزمة صامتة» تجتاح التعليم في العالم (بتصرف: Nussbaum, 2010, p. 1–2) وفي المجتمعات المتأزمة تحديداً، حيث تُختزل التربية غالباً في وظيفة الإعداد لسوق العمل أو لخدمة الإيديولوجيا السائدة، يغيب هذا البعد الإنساني الذي كان يمكن أن يشكّل صمّام أمان ضدّ الهشاشة الوجودية.

وممّا يعزّز هذا التوجّه أيضاً ما تقترحه فلسفة إدغار موران من ضرورة تعليم «الفهم الإنساني» بوصفه غاية للتربية بحدّ ذاتها، لا مجرّد وسيلة لتحصيل مهارات أخرى؛ إذ يرى موران أنّ سوء التفاهم بين البشر – أفراداً وشعوباً وثقافات – هو أحد أهمّ مصادر النزاع والعنف في العالم المعاصر، وأنّ مهمة التربية الأولى ينبغي أن تكون تعليم فنّ فهم الآخر ومقاصده الحقيقية بدل الاكتفاء بتراكم المعلومات

عنه.(بتصرف: Morin, 2001, p. 77) وفي المجتمعات المتأزمة، التي غالباً ما تتشكّل فيها الأزمة من احتقان طائفي أو إثني أو مناطقي، يصبح تعليم فنّ الفهم المتبادل شرطاً وجودياً لا ترفاً ثقافياً.

ويمكن أن نضيف إلى تحليل نوسباوم ملاحظة تتعلّق بأثر تراجع تعليم الفنون والسرد القصصي تحديداً على قدرة الطفل والناشئ على «التخيّل التعاطفي»، أي القدرة على وضع الذات في موقع الآخر المختلف عنه دينياً أو عرقياً أو طبقياً، وهي القدرة التي تشكّل، بحسب نوسباوم، الأساس النفسي لأي تضامن اجتماعي متجاوز للانقسامات الطائفية والمناطقية التي كثيراً ما تغذّي المجتمعات المتأزمة ذاتها «حين نروي قصص حياة الآخرين، نتعلّم كيف نتخيّل ما قد يشعر به كائن آخر إزاء أحداث مختلفة» (Nussbaum, 2010, p. 96) فحين تنحسر هذه الملَكة، يصبح المجتمع أكثر قابلية للانقسام إلى جماعات متنافرة، كل منها ترى في الأخرى تهديداً وجودياً، بما يعمّق حلقة الأزمة والهشاشة معاً.

ويرصد الباحث علي أسعد وطفة آلية خامسة تتمثّل في تناقض الخطاب التربوي الرسمي مع واقع المؤسسات الاجتماعية الفعلي، إذ تُبَشِّر المناهج بقيم المواطنة والعدالة والمساواة في الوقت الذي يعيش فيه المتعلّم واقعاً معيشاً يكذّب هذا الخطاب يومياً – فساداً، وتمييزاً، وغياب فرص – وهو ما يُنتج ازدواجية معرفية وأخلاقية تُضعف مصداقية التربية ذاتها في وعي الناشئة (بتصرف: وطفة، 2010، ص. 40).

وتضاف إلى ما سبق آلية سادسة يمكن استخلاصها من تحليل إدوارد سعيد لبنية «الاستشراق»، حين يبيّن كيف يمكن لمنظومة معرفية بأكملها أن تُنتَج بحيث تخدم علاقة هيمنة غير متكافئة بين ذات عارفة وموضوع معروف؛ وبالقياس على ذلك، يمكن القول إنّ بعض المناهج التربوية في المجتمعات المتأزمة تستبطن نظرة دونية إلى الذات المحلية مقابل تعظيم النموذج الوافد، بما يُضعف اعتزاز المتعلّم بهويته الثقافية ويُغذّي إحساساً مضاعفاً بالهشاشة الرمزية أمام الآخر.«إنّ الشرق قد استُشرِق» (Said, 1978، p. 6)

كما يمكن ملاحظة آلية سابعة تتعلّق بما يسمّيه محمد أركون «اللامفكَّر فيه»، أي مساحات كاملة من التراث والواقع تُترَك خارج دائرة السؤال النقدي بفعل تحريم ديني أو سياسي أو اجتماعي ضمني، بحيث ينشأ المتعلّم وقد اعتاد الصمت أمام أسئلة بعينها بدل مساءلتها، وهو ما يُضعف ملَكة النقد الذاتي التي هي جوهر أي تحصين فلسفي ضد الهشاشة (بتصرف: أركون، 1996، ص. 47). وهكذا تتضافر هذه الآليات السبع – الخوف من الحرية، وفقدان المعنى، وتفتّت المعرفة، وغياب

المسؤولية الأخلاقية، وازدواجية الخطاب، والهيمنة الرمزية، واللامفكَّر فيه – في تشكيل نمط الإنسان الهشّ الذي يشكّل محور هذا البحث.

ومن المهم التأكيد على أنّ هذه الآليات لا تعمل بمعزل بعضها عن بعض، بل تتشابك وتتقوّى فيما بينها بصورة تراكمية؛ فغياب المعنى الوجودي، مثلاً، يجعل الفرد أكثر قابلية للانصياع أمام الخطاب الشمولي هروباً من القلق، كما أنّ تفتّت المعرفة يُضعف قدرته على فضح ازدواجية الخطاب التربوي الرسمي. ومن هنا فإنّ أي محاولة جادة لمواجهة الهشاشة ينبغي أن تكون شمولية بدورها، لا أن تكتفي بمعالجة آلية واحدة بمعزل عن أخواتها، وهو ما يمهّد للمبحث الرابع من هذا البحث.

المبحث الرابع: نحو تربية تحرّرية – ملامح فلسفية لإعادة بناء الإنسان

إذا كانت الآليات السابقة تفسّر كيف تُنتَج الهشاشة، فإنّ السؤال الفلسفي الأعمق يتعلّق بإمكان بناء تربية مضادة، تحرّرية، قادرة على استعادة الإنسان من هشاشته المزمنة. ويقدّم باولو فريري في هذا الصدد بديله المعروف بـ«التعليم الحواري» أو «تربية المساءلة»، القائم على علاقة أفقية بين المربّي والمتعلّم، يتحاوران فيها حول العالم من أجل تسميته وتغييره معاً، بدل أن يكون أحدهما مالكاً للمعرفة والآخر متلقّياً سلبياً لها «من خلال الحوار، يزول وجود المعلّم لطلابه والطلاب لمعلّمهم، ليحلّ محلّهما تعبيرٌ جديد» (Freire, 1970، p. 80) وهذا النمط التربوي، بحسب فريري، هو الكفيل وحده بتحويل «الوعي الساذج» إلى «وعي نقدي» قادر على قراءة الواقع وتغييره لا الخضوع له فحسب.

وتقترح حنة أرندت من جهتها مبدأ «حبّ العالم» AmorMundi بوصفه أساساً فلسفياً للتربية، أي أن يقدّم المربّي للناشئة عالماً جديراً بأن يُحَبّ ويُصان، مع الحفاظ في الوقت ذاته على مسافة تسمح لهم بأن يجدّدوه بطريقتهم الخاصة؛ فالتربية الحقيقية، بحسب أرندت، تحمي الجديد من العالم القديم، وتحمي العالم القديم من هدم الجديد له من غير تمييز «التربية هي اللحظة التي نقرّر فيها ما إذا كنا نحبّ العالم بما يكفي لنتحمّل مسؤوليته» (Arendt, 1961, p. 196). وفي المجتمعات المتأزمة، حيث تنزع الأزمة إلى تحطيم أي ثقة بالمستقبل، تصبح إعادة تقديم عالم محبوب – ولو جزئياً – فعلاً مقاوماً بامتياز.

أمّا إدغار موران فيقترح ما يسمّيه «تربية المستقبل» القائمة على المعارف السبع الضرورية: من فهم طبيعة المعرفة ذاتها وحدودها، إلى تعليم مبادئ المعرفة الملائمة للتفكير الكلّي، وصولاً إلى تعليم فهم الإنسان في تعقيده الحيوي والنفسي والثقافي، وتعليم مواجهة اللايقين، وتعليم الهوية الأرضية المشتركة للبشرية جمعاء .(بتصرف: Morin, 2001, pp. 11–13) وتوفّر هذه الرؤية إطاراً فلسفياً متكاملاً يمكن أن يُبنى عليه منهاج تربوي يواجه التشظّي المعرفي الذي يفاقم الهشاشة.

وفي السياق العربي، يقدّم عبد الكريم بكار تصوّراً عملياً مكمّلاً حين يدعو إلى تربية تقوم على تنمية «الإنسان الفاعل»، القادر على المبادرة وتحمّل المسؤولية، عبر تعزيز الثقة بالذات والانفتاح على النقد الذاتي بدل التربية المبنية على الطاعة المطلقة أو الخوف من السلطة (بتصرف: بكار، 2003، ص. 55). ويلتقي هذا التصور مع ما يقترحه ناصيف نصار من ضرورة «الاستقلال الفلسفي» بوصفه شرطاً لنهضة عربية حقيقية، أي أن يستعيد الإنسان العربي ملَكة السؤال الحرّ بدل الاكتفاء باستيراد الأجوبة الجاهزة من الشرق أو الغرب (بتصرف: نصار، 1975، ص. 21).

ويشدّد طه عبد الرحمن على أنّ أي تربية تحرّرية لا بدّ أن تُؤسَّس على منظومة أخلاقية ائتمانية، يكون فيها العلم مقروناً بالعمل، والمعرفة مقرونة بالمسؤولية تجاه الآخر والمجتمع، بحيث لا تتحوّل الحرية المكتسبة إلى فوضى قيمية جديدة تعيد إنتاج الهشاشة بشكل آخر (بتصرف: عبد الرحمن، 2006، ص. 130). وتقترب من هذا المعنى دعوة مصطفى حجازي إلى ما يسمّيه «تفكيك ثقافة القهر» عبر تربية تعيد للفرد المقهور إحساسه بالكفاءة الذاتية والقدرة على الفعل، بوصف ذلك المدخل الأساسي لتجاوز حالة الاغتراب النفسي الاجتماعي (بتصرف: حجازي، 1976، ص. 211).

ولا يفوتنا في هذا السياق استحضار موقف جون ديوي الذي جعل من الخبرة المعاشة والتفاعل بين المتعلّم وبيئته أساساً للتربية الديمقراطية، معتبراً أنّ المدرسة ينبغي أن تكون نموذجاً مصغّراً لمجتمع تعاوني يتدرّب فيه الناشئ على حلّ المشكلات الجماعية بروح المشاركة لا بروح الخضوع.(بتصرف: Dewey, 1916) وهذا التصوّر، وإن نشأ في سياق مستقر نسبياً، يحمل دلالة خاصة في المجتمعات المتأزمة، إذ يقترح أنّ الفصل الدراسي ذاته يمكن أن يكون فضاء لإعادة التدرّب على العيش المشترك حين تنهار أشكاله الأوسع في المجتمع.

كما يستحضر البحث موقف تيودور أدورنو في مقالته الشهيرة عن «التربية بعد أوشفيتز»، حين يجعل من الهدف الأول لأي تربية أخلاقية أن تحول دون تكرار الكارثة، عبر تعزيز قدرة الفرد على

مقاومة الانصياع الأعمى للسلطة والجماعة، وتنمية استقلاليته النقدية في مواجهة الخطابات الشمولية مهما بدت مقنعة «إنّ المطلب الأول لأيّ تربية هو ألاّ يتكرّر أوشفيتز» (Adorno, 1966, p. 191) وهذا الدرس بالغ الأهمية بالنسبة للمجتمعات التي عاشت أو تعيش عنفاً جماعياً منظّماً، إذ يذكّر بأنّ التربية بعد الكارثة مسؤولة أخلاقياً بالقدر ذاته الذي كانت مسؤولة به التربية التي سبقتها وأسهمت، بفشلها، في التمهيد لها.

وختاماً، يمكن القول إنّ التربية التحرّرية القادرة على بناء الإنسان المتماسك في المجتمعات المتأزمة تقوم على أربعة أركان متكاملة: الحوار النقدي بدل التلقين، والمعنى الوجودي بدل الفراغ القيمي، والمعرفة الكلّية المترابطة بدل التشظّي التقني، والمسؤولية الأخلاقية المشتركة بدل العلاقة الإدارية الباردة. وهذه الأركان، وإن كانت مستمدة من سياقات فلسفية متعددة غربية وعربية، فإنّها تلتقي جميعاً عند غاية واحدة: إعادة الاعتبار للإنسان بوصفه غاية في ذاته لا وسيلة تُستخدم في إدارة الأزمة أو تكييف الفرد معها.

وترى الباحثة أنّ من الضروري كذلك التمييز بين مستويين للتربية التحرّرية: مستوى فردي يُعنى ببناء مقاومة نفسية وقيمية داخل كل متعلّم على حدة، ومستوى جماعي يُعنى ببناء ثقافة مدرسية ومجتمعية عامة تكرّس قيم الحوار والمسؤولية المشتركة؛ ذلك أنّ الاكتفاء بالمستوى الفردي وحده قد ينتج أفراداً واعين معزولين وسط بيئة عامة لا تزال تنتج الهشاشة، في حين أنّ الاكتفاء بالمستوى الجماعي من غير عناية بالتجربة الفردية قد يتحوّل إلى شعارات عامة تفتقر إلى التجذّر في وعي الأفراد وتجاربهم الحيّة. ومن هنا فإنّ أي مشروع تربوي جادّ ينبغي أن يعمل على المستويين معاً بصورة متكاملة ومتزامنة.

وقد يُعترَض على هذا التصوّر بأنّ الشرط الأزموي ذاته – من فقر وحرب وانهيار مؤسسي – يجعل تطبيق مثل هذه الرؤية التحرّرية ترفاً فكرياً يصعب تحقيقه على أرض الواقع؛ غير أنّ الردّ الفلسفي على هذا الاعتراض يكمن في أنّ التربية التحرّرية ليست مشروطة بتوافر الموارد المادية الوفيرة بقدر ما هي مشروطة بتغيير في طبيعة العلاقة التربوية ذاتها، وهو ما تشهد به تجربة فريري نفسه في حملات محو الأمية بين فقراء البرازيل؛ ما يعني أنّ إمكان التحرّر التربوي لا يُقاس بغنى الموارد بقدر ما يُقاس بجرأة الرؤية الفلسفية التي توجّه استخدامها.

الخاتمة

يخلص البحث، بعد هذا المسار التحليلي بين الفلسفة الغربية المعاصرة والفكر العربي النقدي، إلى أنّ الإنسان الهشّ ليس قدراً محتوماً تفرضه الأزمة بالضرورة، بل هو نتاج تاريخي لخيارات تربوية وفلسفية بعينها، وهو ما يعني، بالمقابل، أنّ إمكان تجاوزه قائم أيضاً، ما دام الإنسان كائناً تاريخياً قابلاً لإعادة تشكيل ذاته عبر الوعي والفعل. وإذا كانت الأزمة تكشف عن هشاشة الإنسان، فإنّها تكشف في الوقت ذاته عن إمكاناته الكامنة على المقاومة والابتكار، بشرط أن تتوافر له تربية تُوقظ هذه الإمكانات بدل أن تُخمدها.

وليس ادّعاء هذا البحث أنّ التربية وحدها كفيلة بحلّ أزمات المجتمعات المتأزمة، فتلك دعوى تفريطية تتجاهل ثقل العوامل السياسية والاقتصادية والجيوسياسية التي تصنع هذه الأزمات في الأصل؛ بل إنّ ادّعاءه أكثر تواضعاً وأشدّ عمقاً في آن: أنّ أي مشروع لتجاوز الأزمة، مهما بلغت نجاعته السياسية أو الاقتصادية، سيظلّ ناقصاً ما لم يقترن بمشروع تربوي فلسفي يعيد للإنسان مكانته بوصفه ذاتاً حرة مسؤولة، لا مجرد رقم في معادلات إعادة الإعمار أو الإحصاء السكاني. وبهذا المعنى، فإنّ فلسفة التربية ليست ترفاً نظرياً مؤجَّلاً إلى ما بعد الأزمة، بل هي، على العكس تماماً، جزء لا يتجزّأ من أي مشروع جادّ لمواجهتها من جذورها الإنسانية العميقة.

الاستنتاجات

1. تبيّن أنّ الهشاشة الإنسانية ليست عيباً فردياً عارضاً، بل بنية تتشكّل عند تقاطع الشرط الوجودي الأصيل للإنسان مع اختلال بنى القوة الاجتماعية والسياسية.

2. أظهر البحث أنّ أزمة المجتمع وأزمة التربية تتغذّيان جدلياً؛ فالتربية التي تفقد استقلالها الفلسفي تتحوّل إلى أداة لإعادة إنتاج الأزمة بدل تجاوزها.

3. كشف البحث عن خمس آليات رئيسة تنتج الإنسان الهشّ: الخوف من الحرية، وفقدان المعنى، وتفتّت المعرفة، وغياب المسؤولية الأخلاقية في العلاقة التربوية، وازدواجية الخطاب التربوي مع الواقع المعيش.

4. أظهر البحث أنّ فلسفات التربية التحرّرية – عند فريريوأرندتومورانخاصة – تقدّم بدائل نظرية قابلة للتوطين في السياق العربي، شريطة ربطها بمنظومة أخلاقية أصيلة كتلك التي يقترحها طه عبد الرحمن وناصيف نصار.

5. بيّن البحث أنّ إعادة بناء الإنسان في المجتمعات المتأزمة تستلزم تربية تقوم على الحوار النقدي والمعنى الوجودي والمعرفة الكلّية والمسؤولية الأخلاقية المشتركة، بوصفها أركاناً متكاملة لا تتجزّأ.

التوصيات

1. إعادة النظر في فلسفة المناهج التربوية العربية بحيث تُدمَج فيها ملَكات النقد والحوار والتفكير الكلّي بدل الاقتصار على التلقين والحفظ.

2. تعزيز حضور تعليم الفلسفة والإنسانيات في مراحل التعليم المختلفة بوصفه أداة أساسية لبناء الوعي النقدي ومواجهة الهشاشة الوجودية.

3. تدريب الكوادر التربوية على مقاربات الحوار التربوي التحرّري بدل نماذج السلطة والإخضاع، بما ينسجم مع مقترح فريري في التعليم الحواري.

4. إجراء دراسات ميدانية مستقبلية تفحص أثر البرامج التربوية القائمة على المعنى الوجودي في تخفيف مظاهر الهشاشة النفسية لدى الناشئة في مناطق النزاع.

5. دعم البحث الفلسفي العربي المقارن الذي يربط بين فلسفة التربية الغربية المعاصرة والتراث الفكري العربي النقدي، لبناء نظرية تربوية عربية أصيلة في مواجهة الأزمة.

المصادر والمراجع:

1. بلباشة، محمد، وبن اسماعين، موسى. (2023). أزمة التربية عند حنة أرندت – أمريكا نموذجا–. مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، 8 (2)، 82–94.

2. قادم، معمر (2026). فلسفة التعليم الحواري عند باولو فريري نحو رؤية تربوية تحررية. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 18، العدد 1، ص 162–169.

3. أركون، محمد (1996). تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، ط2. الدار البيضاء – بيروت: المركز الثقافي العربي، 400 صفحة.

4. إبراهيم، زكريا (1976). مشكلة الإنسان، سلسلة مشكلات فلسفية. القاهرة: مكتبة مصر، 210 صفحة.

5. الجابري، محمد عابد (1984). نقد العقل العربي: تكوين العقل العربي، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 480 صفحة.

6. العروي، عبد الله (1996). مفهوم العقل: مقالة في المفارقات، ط1. الدار البيضاء – بيروت: المركز الثقافي العربي، 264 صفحة.

7. بكار، عبد الكريم (2003). تربية الإنسان: قراءة في أصول العملية التربوية، ط1. دمشق: دار القلم للنشر والتوزيع، 176 صفحة.

8. حجازي، مصطفى (1976). التخلّف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط1. بيروت: معهد الإنماء العربي، 340 صفحة.

9. حرب، علي (1998). أوهام النخبة أو نقد المثقف، ط2. الدار البيضاء – بيروت: المركز الثقافي العربي، 232 صفحة.

10. زكريا، فؤاد (1987). خطاب إلى العقل العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 116. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 296 صفحة.

11. طه عبد الرحمن (2006). روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط1. الدار البيضاء – بيروت: المركز الثقافي العربي، 288 صفحة.

12. غليون، برهان (1985). اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط1. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 320 صفحة.

13. نصار، ناصيف (1975). طريق الاستقلال الفلسفي: بحث في مقوّمات الفلسفة العربية، ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 216 صفحة.

14. وطفة، علي أسعد (2010). سوسيولوجيا التربية: قراءات نقدية في أزمة التعليم العربي، ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 254 صفحة.

15. Adorno, T. W. (2005). Critical Models: Interventions and Catchwords (H. W. Pickford, Trans.). New York: Columbia University Press. (Original essay 'Education after Auschwitz' first published 1966).

16. Arendt, H. (1961). Between Past and Future: Eight Exercises in Political Thought. New York: The Viking Press.

17. Bauman, Z. (2000). Liquid Modernity. Cambridge, UK: Polity Press.

18. Bauman, Z. (2007). Liquid Times: Living in an Age of Uncertainty. Cambridge, UK: Polity Press.

19. Beck, U. (1992). Risk Society: Towards a New Modernity (M. Ritter, Trans.). London: Sage Publications.

20. Butler, J. (2004). Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence. London: Verso Books.

21. Dewey, J. (1916). Democracy and Education: An Introduction to the Philosophy of Education. New York: The Macmillan Company.

22. DisciplineandPunish: TheBirthofthePrison (A. .(77Foucault, M. (19 Sheridan, Trans.). NewYork: PantheonBooks. (Originalworkpublished .(1975

23. Frankl, V. E. (1959). Man'sSearchforMeaning (I. Lasch, Trans.). .(Boston: BeaconPress. (Originalworkpublished 1946

24. Pedagogy of the Oppressed (30th anniversary ed., M. .(Freire, P. (1970 B. Ramos, Trans.). New York: Continuum. (Original work published .(1970

25. Fromm, E. (1941). Escape from Freedom. New York: Farrar&Rinehart.

26. .Levinas, E. (1969). TotalityandInfinity: AnEssayonExteriority (A Lingis, Trans.). Pittsburgh, PA: DuquesneUniversityPress. .(Originalworkpublished 1961)

27. Morin, E. (2001). Seven Complex Lessons in Education for the Future N. Poller, Trans.). Paris: UNESCO Publishing. (Original work) .(published 1999

28. Nussbaum, M. C. (2010). Not for Profit: Why Democracy Needs the Humanities. Princeton, NJ: Princeton University Press.

29. J. (1979). Emile, orOnEducation (A. Bloom, Trans.). -Rousseau, J. .(NewYork: BasicBooks. (Originalworkpublished 1762

30. Said, E. W. (1978). Orientalism. New York: Pantheon Books.

31. Zembylas, M. (2018). The Ethics and Politics of Precarity: Risks and Productive Possibilities of a Critical Pedagogy for Precarity. Studies in Philosophy and Education, 38(2), 95-111.

الأفعال الكلامية في شعر نزار قباني

د. منال عبد القادر سعد الدِّين*

الملخَّص

يدرس البحث نظرية الأفعال الكلاميَّة في شعر نزار قبَّاني، فيتناول تعريف التَّداوليَّة والأفعال الكلاميَّة، ويُفرِّق بين أنواع الأفعال الكلاميَّة عند أوستن وسيرل، ويدرس الأفعال الكلاميَّة في الدِّراسات العربية لدى الأصوليين والنحاة والبلاغيين، ويُحلِّل ظاهرة الأفعال الكلاميَّة في شعر نزار قبَّاني من منظور أوستن وسيرل من خلال دراسة أصناف الأفعال الكلاميَّة عند سيرل وهي: الإخباريَّات والتَّوجيهيَّات والالتزاميَّات والتَّعبيريَّات والإعلانيَّات، وذلك في ضوء أقسام الفعل الكلامي لدى أوستن وهي: فعل القول، والفعل الإنجازي، والفعل التَّأثيري.

الكلمات المفتاحيَّة:

التَّداوليَّة، الأفعال الكلاميَّة، الإخباريَّات، التَّوجيهيَّات، الالتزاميَّات، التَّعبيريَّات، الإعلانيَّات.

* دكتوراه في اللغة العربية وآدابها (اللسانيَّات)

Speech acts in Nizar Qabani's Poetry

***Dr. Manal Abdulkader Sadiddin**

Abstract

The research studies the theory of speech acts in Nizar Qabani's poetry, deals with the definition of pragmatic and speech acts, distinguishes between the types of speech acts in Austin and Searle, and studies speech acts in the Arabic studies as addressed by legal theorists, grammarians, and rhetoricians, The phenomenon of speech acts in Nizar Qabbani's poetry is analyzed from the perspective of Austin and Searle by studying the types of speech acts in Searle, namely: assertives, directives, commissives, expressives and declaratives, Austin is: locutionary act, illocutionary act, perlocutionary act.

Keywords:

pragmatic, speech acts, assertives, directives, commissives, expressives, declaratives.

*phd in Arabic language and literature (linguistics)

1_ المقدِّمة:

إنَّ وظيفة اللغة لا تقف عند نقل المعلومات من المرسل إلى المُتلقِّي؛ فلا بدَّ لعملية النَّقل هذه من الإحاطة بكلِّ معطيات الحدث التواصلي لتتَّضح الدلالات والأغراض في ضوء السياق والمقام، ويُنجَز الإبلاغ والتَّأثير بين قطبي العملية التواصلية، وتتجلى قصدية المرسل وتتحقق مقبولية المتلقي، من هنا نشأت النَّظرية التداولية التي تُعنى بدراسة اللغة في سياقها التواصلي الاجتماعي، وهي تتقاطع مع ميادين معرفية عديدة مثل علم اللغة وعلم النص والفلسفة والبلاغة وعلم الاجتماع وعلم النَّفس ...إلخ.

وتُعدُّ نظرية الأفعال الكلاميَّة من أبرز مباحث التداوليَّة، وهي تنظر إلى الملفوظات على أنَّها إنجازات لا مجرَّد أقوال فقط، وقد أسسها أوستن ثم تطوَّرت فيما بعد من خلال باحثين آخرين كان أبرزهم غرايس وسيرل، وتتمثَّل جذورها في التراث العربي خصوصاً في مباحث الخبر والإنشاء.

يسعى هذا البحث إلى مقاربة ظاهرة الأفعال الكلامية في شعر نزار قباني من خلال تقسيمه محورين رئيسين: نعالج في المحور الأول ظاهرة الأفعال الكلاميَّة نظريَّاً من خلال تعريفها والتمييز بين أنواع الأفعال الكلامية لدى رواد هذه النظرية وهم أوستين وسيرل، بالإضافة إلى تأصيلها لدى التراثيين العرب القدماء من نحاة وبلاغيين وأصوليين ومفسرين، ثمَّ نُجري في المحور الثاني دراسةً تطبيقيةً لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في شعر نزار قبَّاني انطلاقاً من تقسيمات أوستن وسيرل وتصنيفاتهما.

2_ مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الرئيسة في قلة الدِّراسات التي تناولت نظرية الأفعال الكلامية في شعر نزار قبَّاني، بالإضافة إلى عدم إمكانية التوفيق التَّام بين المقاربة العربية والغربية عند إجراء الدراسة التَّطبيقية؛ إذ لا يمكن إسقاط النظريات الغربية إسقاطاً كاملاً على الدراسات العربية التراثية في التَّحليل النَّصِّي لاختلاف التوجهات والمفاهيم والمنطلقات الفكرية والأهداف البحثية.

3_ أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق أهداف محدَّدة، وهي:

1_ دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في شعر نزار قباني نظريَّاً وتطبيقيَّاً.

2_ إيضاح أثر السياق والقرائن ومُعطيات النص الشعري وملابساته في تحديد مقاصد الشَّاعر، والقوى الإنجازيَّة وآثارها في المُتلقِّين.

3_استكشاف الرسالة السَّامية التي تبنَّاها نزار قبَّاني في ديوانه "الشعر السياسي".

4_ تحديد الأفعال الكلاميَّة المُهيمنة في ديوان "الشعر السياسي" لنزار قباني، وعلاقة ذلك برسالته السَّامية في هذا الديوان.

4_ فرضيات البحث:

ينطلقُ البحث من الفرضيات الآتية:

1_ تأثير السياق والمقام والقرائن في تحديد القوى الإنجازية والأفعال التَّأثيرية.

2_ إمكانية تأصيل ظاهرة الأفعال الكلاميَّة في الدراسات العربية التراثية.

3_ إمكانية تحديد مقاصد الشَّاعر الرَّئيسة والثانوية (الضِّمنيَّة والمباشرة) من خلال دراسة الأفعال الكلامية في نصوصه.

5_ مصطلحات البحث:

يعتمد البحث عدداً من المصطلحات أبرزها:

التداولية، الأفعال الكلاميَّة، الفعل القولي، الفعل الإنجازي، الفعل التَّأثيري، الإخباريَّات، التَّوجيهيَّات، الالتزاميَّات، التَّعبيريَّات، الإعلانيَّات.

6_ الدراسات السَّابقة:

تناولت نظريةَ الأفعال الكلاميَّة دراساتٌ كثيرةٌ نظريّاً وتطبيقيّاً، وكان من أبرز هذه الدراسات:

1_ دراسة د.هشام عبد الله الخليفة في كتابه "نظرية الفعل الكلامي" :

يعتمدُ الباحث في كتابه هذا المنهج الوصفي والتَّاريخي والتَّداولي؛ فيتناول نظرية الفعل الكلامي في الدراسات الغربية عند أوستن ومن تبعه من تداوليين، ويُؤصِّل لهذه النظرية في الدراسات العربية التراثية عند الأصوليين والمتكلمين والبلاغيين والنحويين، ويبدو تركيزه على التراث العربي الإسلامي بصورة كبيرة في هذا الكتاب؛ إذ يؤكد بالدليل القاطع أن العرب والمسلمين هم من اكتشفوا هذه النظرية، لكنه لم يغفل دراسات أرسطو ومنطق اليونان في هذا المجال.

2_ دراسة د. محمود أحمد نحلة في كتابه "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر":

يتناول الباحث في كتابه هذا عدة مباحث كان أوَّلها "الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر"، فيعتمدُ فيه المنهج الوصفي والتاريخي والتداولي، ويتناول بدايةً النظرية التداولية من جهة تعريفاتها وأبرز أعلامها، ومباحثها الرَّئيسة وهي: الإشارة والافتراض السابق والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية، وفي مبحث الأفعال الكلاميَّة يتناول المؤلف جهود أوستن وسيرل في هذه النظرية تناولاً تفصيليَّاً ثمَّ يتناول نظرية أفعال الكلام في الدراسات العربية لدى الأصوليين والنحويين والبلاغيين أيضاً تناولاً مُستفيضاً مستهلاً ذلك بسردٍ إيضاحيٍّ لعرفية الاستعمال ومقصد المتكلم اللذين يعدهما من أسس هذه النظرية،

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الباحث عرضَ جهود أوستن وسيرل مرَّتين، الأولى عندما تناول التداولية، والثانية عندما تناول نظرية أفعال الكلام عند العرب بعرضٍ مشابهٍ للعرض الأوَّل.

3_ دراسة د. مسعود صحراوي في كتابه "التداولية عند العلماء العرب":

يعتمدُ الباحث في كتابه هذا المنهج الوصفي والتَّاريخي والتَّداولي، ويخصص الفصل الأوَّل فقط للنظرية التداولية فيتناول فيه مفهوم التداولية وأبرز مباحثها وهي الافتراض المسبق والاستلزام الحواري ونظرية الملاءمة والفعل الكلامي، ويُعرِّج على جهود أوستن وسيرل في الفعل الكلامي، في حين يسعى في بقية الفصول إلى تأصيل نظرية الفعل الكلامي في الدراسات العربية التراثية من خلال جهود الأصوليين والبلاغيين والنحويين شارحاً خلال ذلك المفارقة بين مفهومي الخبر والإنشاء لدى هؤلاء العلماء.

4_ دراسة د. أحمد فهد صالح شاهين في كتابه "النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة":

يعتمدُ الباحث في كتابه هذا المنهج الوصفي والتَّاريخي والتَّداولي، ويبحث في الفصل الأول مفهوم التداولية ونشأتها وأركانها وصلتها بعلم التراكيب والدلالة والأسلوب، ويوضِّح في الفصل الثاني ملامح التداولية في الفكر البلاغي القديم فيدرس علاقة التداولية بعلم المعاني وعلم البيان وعلم النحو، وفي الفصل الأخير يدرس النظرية التداولية في العصر الحديث لدى مدرسة براغ ولندن والنحويين الجدد، كما يدرس التداولية لدى النحاة العرب المُحدَثين مثل أحمد المتوكل وتمام حسان وجعفر دك الباب.

7_ منهج البحث:

يعتمدُ البحث المنهج الوصفي والنَّظريَّة التَّداوليّة في دراسة ظاهرة الأفعال الكلاميَّة ومقاربتها ومعالجتها وتحليلها في شعر نزار قبَّاني؛ لأنَّهما المنهجان الملائمان لطبيعة البحث وآليَّاته وأهدافه، فقد وُظِّفَ المنهج الوصفي في وصف ظاهرة الأفعال الكلاميَّة وتحليلها من خلال جمع المعلومات المُتعلِّقة بظاهرة الأفعال الكلاميَّة من المصادر والمراجع ذات الصِّلة، ثم دراسة تلك المعلومات وتفسيرها وتحليلها ومناقشتها وتطبيقها على شعر نزار قبَّاني، كما وُظِّفَت النَّظريَّة التَّداوليّة في دراسة المعاني والأغراض والدَّلالات والقرائن في سياق الاستعمال ومعطيات الخطاب بغية استكشاف مقاصد المرسل والقوى الإنجازيَّة والأفعال التَّأثيرية في المتلقِّي.

8_ عرض البحث والمناقشة والتحليل:

أ_ الدِّراسة النَّظريَّة:

1_ التَّداوليَّة pragmatic:

لمَّا كان ظهور أي تيَّار فكري أو منهج أو مذهب يأتي غالباً ردَّة فعل على الانتقادات المُوجَّهة لما سبقه، فقد ظهر المنهج التَّداولي نتيجةً لعدم كفاية الدِّراسات الشَّكليَّة في مقاربة اللغة ومعالجتها معالجةً تجريديَّةً بحتةً ترتكزُ على المقدرة الذهنيَّة، وإعراضها عن توظيف اللغة في سياق استعمالها التَّواصلي[1].

يرجع استخدام مصطلح التَّداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس الذي عُنيَ بهيكلة علم العلامات أو السيميائيَّة؛ فميَّز بين ثلاثة مستويات هي:

1_ النحو أو التَّراكيب syntax: ويُعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات اللغويَّة.

2- الدلالة semantic: وتُعنى بدراسة العلاقات بين العلامات اللغوية وما تُؤول إليها.

3_ التَّداوليَّة pragmatics: وتُعنَى بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها.[2]

وقد اقتحمت التَّداوليَّة ميدان البحث اللغوي المعاصر بعد أن تمَّ تطويرها على يد فلاسفة أكسفورد الثلاثة أوستن وسيرل وغرايس.[3]

ويُقصَد بالتَّداوليَّة pragmatic: دراسة خصائص اللغة خلال الاستعمال من جهة الدَّوافع النَّفسيَّة عند المُتكلِّمين وردود فعل المخاطبين والأنماط المُتَّبعة في الخطاب وموضوع الخطاب[4]، بالإضافة إلى تحليل الأحداث اللغويَّة ووظائف النَّص/الخطاب وخصائصه خلال العمليَّة التَّواصليَّة[5]. وتُعنَى التَّداوليَّة بدراسة أربعة مجالات وهي: الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، والافتراض السَّابق، والإشارة[6].

---

[1] _ استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص 21

[2] _ المرجع نفسه، ص21،يُنظَر أيضاً:

_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م، ص9

[3] _ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص9

[4] _ المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيّات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، 2002م، ص 116

[5] _ علم النَّص(مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، ص 114

[6] _ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص16

2_ الأفعال الكلاميَّة Speech Acts:

تُعدُّ الأفعال الكلاميَّة Speech Acts من أبرز مجالات الدَّرس التَّداولي، لدرجةٍ يُنظَر فيها إلى ترادفهما في المراحل الأولى للتَّداوليَّة، فقد مثَّلت الأفعال الكلاميَّة بؤرةً جوهريَّةً في دراساتٍ تداوليَّةٍ كثيرةٍ، ويُقصَدُ بالفعل الكلامي: كلُّ ملفوظٍ يرتكزُ على منظومةٍ شكليَّةٍ دلاليَّةٍ إنجازيَّةٍ تأثيريَّةٍ، فهو يُعدُّ نشاطاً ماديّاً نحويّاً يستخدم أفعالاً قوليَّةً بغية تحقيق أغراضٍ إنجازيَّةٍ (كالأمر والطَّلب والوعد والتَّهديد) وأهدافٍ تأثيريَّةٍ تتعلَّق بردود أفعال المتلقِّين (كالقبول والرَّفض)، بمعنى أنَّهُ يهدف إلى التَّأثير في المخاطب مؤسَّساتيّاً واجتماعيّاً لإنجاز أمر ما.[1]

ترجع إرهاصات البحث في نظرية الأفعال الكلاميَّة إلى أوستن Austin "أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد"، وسيرل Searle "أستاذ الفلسفة في جامعة بركلي بكاليفورنيا"، فقد أسَّسا للتداوليَّة في مجال فلسفة اللغة العاديَّة، وطوَّرا مفهوم "العمل اللغوي" من منظور المنطق التَّحليلي[2].

وقد فرَّق أوستن بين قسمين من الأفعال هما:

1_ الأفعال الإخباريَّة Constative: يُمكن وصف هذه الأفعال بأنَّها صادقة أو كاذبة، وتقوم بوصف أحداث العالم الخارجي.

2_ الأفعال الأدائيَّة Performative: لا يُمكن وصفها بأنَّها صادقة أو كاذبة، وتكون موفَّقة أو غير موفَّقة، ويندرج ضمنها الوعد، والنصح، والتَّسمية، والرهان، والاعتذار، والوصية[3].

فيما بعد صنَّف أوستن الأفعال الكلاميَّة باعتبار قوَّتها الإنجازيَّة وفق خمسة أصناف وهي:

1_ أفعال الأحكام (الحكميَّات) verdictives: وتتمثَّل في الأحكام الصَّادرة عن قاضٍ أو حكَمٍ، مثل التَّبرئة والإدانة، والتَّحليل والوصف، والتَّصنيف والتَّقويم والتَّشخيص، والإحصاء وإصدار الأمر...إلخ

2_ أفعال القرارات (التَّنفيذيَّات) Exercitives: وتتمثَّل في القرارات المُتَّخذة ومتابعة الأعمال مثل: التَّعيين، والتَّوصية والطَّرد، والعزل والحرمان، والإذن.

---

[1] _ التَّداوليَّة عند العلماء العرب((دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي))، مسعود صحراوي، دار الطَّليعة للطباعة والنَّشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ص40

[2] _ التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتَّوزيع، اللاذقيَّة، الطبعة الأولى، 2007م، ص20

[3] _ يُنظَر:
_ النظريَّة البراجماتيَّة اللسانيَّة (التَّداوليَّة)، د.محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م، ص 97
_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص45

3_ أفعال التَّعهُّد (الوعديَّات) Commissives: وهي الأفعال التي يتعهَّد فيها المُتكلِّم فيلتزم بأمر ما مثل: التَّعاقد، والموافقة والوعد، والقسم، والضَّمان والعزم والنيَّة.

4_ أفعال السُّلوك (السلوكيَّات) Behavitives: وتأتي هذه الأفعال ردَّ فعلٍ لفعلٍ آخر؛ إذ تتفاعل مع أفعال الآخرين، مثل: النَّقد والمواساة والاعتذار والتَّهنئة والشكر والتَّحدي والتَّرحيب والتَّحريض.

5_ أفعال الإيضاح (العرضيَّات) Expositives: وتأتي لبيان وجهة نظر أو رأي وتختصُّ بالعرض مثل: التَّخطئة والاعتراض والموافقة والتَّصويب والإنكار والتَّشكيك والنَّفي والتَّأكيد والتَّفسير والتَّوضيح والإحالة والوصف والمُحاجَّة[1].

وقد خلُصَ أوستن في نهاية بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعيَّة يمكن إجمالها وفق الآتي:

1_ **فعل القول (الفعل اللفظي) locutionary act** : وهو قول شيء مُعيَّن أو: التَّلفُّظ بكلام ما.

2_ الفعل المُتضمَّن في القول (الفعل الغرضي أو الإنجازي) illocutionary act : ويتحقَّق بإنجاز فعل اجتماعي ضمن قول شيء ما.

3_ الفعل النَّاتج عن القول (الفعل التَّأثيري) perlocutionary act : وتُمثِّله الآثار المُترتِّبة على قول شيء ما[2].

تُعدُّ جهود أوستن نقطة انطلاقٍ لنظرية الأفعال الكلاميَّة، وخصوصاً مفهوم الفعل الإنجازي، إلَّا أنَّ إرساء دعائم هذه النَّظريَّة كان على يد جون سيرل وبخاصَّة فيما قدَّمه حول الفعل الإنجازي والقوَّة الإنجازيَّة، فقد أشار إلى أنَّ الفعل الإنجازي يمثِّل الوحدة الصغرى في عملية التَّواصل اللغويَّة، وأنَّ القوَّة الإنجازيَّة هي التي تحدِّد نوع الفعل الإنجازي النَّاجم عن نطق الجملة، وقد بحث في مستويات الاستعمال اللغوي ففرَّق بين المعنى الحرفي المباشر الذي يستخدم اللغة العاديَّة ذات المعنى المُحدَّد، والمعنى غير المباشر الذي يتطلَّب إعمال العقل فيه لأنه يتوارى خلف اللفظ، كما فرَّق سيرل بين الأفعال الإنجازيَّة

---

[1] _ يُنظَر:

_آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص48

_ التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، ص62

[2] _ يُنظَر:

_التَّداوليَّة عند العلماء العرب((دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي))، مسعود صحراوي، ص41_43

_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص70

المباشرة التي يتطابق فيها ما يقوله المتكلِّم مع ما يعنيه، والأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة التي لا يتطابق فيها مراد المتكلِّم مع مقولته الحرفيَّة[1]، وقد صنَّف سيرل الأفعال الكلاميَّة وفق خمسة أصناف وهي:

1_ الإخباريَّات (الإخبارات) Assertives: يتمثَّل الغرض الإنجازي فيها من خلال عرض المتكلِّم حدثاً محدَّداً بواسطة قضيَّة، وبهذا فإنَّ أفعال الإخباريَّات تحتمل الصدق والكذب، وتكون المطابقة فيها موجَّهة مباشرةً من الكلمات إلى العالم، بمعنى أنَّ الكلمات تتطابق مع العالم.

2_ التَّوجيهيَّات (الطَّلبيَّات/الأوامر) Directives: يتمثَّل الغرض الإنجازي فيها من خلال توجيه المخاطَب من قِبل المُتكلِّم إلى القيام بفعلٍ مُحدَّد، وتكون المُطابقة فيها مُوجَّهة من العالم إلى الكلمات، بمعنى أنَّ العالم يُطابق الكلمات، ويندرج ضمن التَّوجيهيَّات أفعال النصح والأمر والتَّشجيع والاستعطاف.

3_ الالتزاميَّات (الوعديَّات) Commissives: يتمثَّل الغرض الإنجازي فيها من خلال التزام المتكلِّم بالقيام بفعل محدَّد في المستقبل، وتكون المُطابقة فيها مُوجَّهة من العالم إلى الكلمات، ويُشتَرَطُ فيها صدق النيَّة، ويندرج ضمنها أفعال الوصيَّة والوعد.

4_ التَّعبيريَّات (الإفصاحات) Expressives: يتمثَّل الغرض الإنجازي فيها من خلال تعبير المتكلِّم عن الحالة النَّفسيَّة بشرط النيَّة الصَّادقة، وبهذا فالمطابقة في التَّعبيريَّات ليست موجَّهة ما بين الكلمات والعالم، بمعنى لا توجد مطابقة في هذا الصِّنف، ويندرج ضمنها المواساة والاعتذار والشكر والتَّهنئة.

5_ الإعلانيَّات (التَّصريحيَّات) Declaratives: يُرمَى من خلالها إلى إجراء واقعة، ويجب أن يتطابق محتواها مع العالم الخارجي، وتتطلب عرفاً غير لغويٍّ، وتكون المُطابقة فيها مُوجَّهة من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم، بمعنى أنَّ التَّوافق بينهما مباشر، ولا تتطلب شرط إخلاص[2].

يُلحَظُ أنَّ هذا التَّصنيف لسيرل يتشابه مع تصنيف أوستن للأفعال الكلاميَّة باعتبار قوَّتها الإنجازية، بمعنى أنَّ سيرل قام فقط بتطوير نظرية أوستن منطلقاً من الأسس النَّظريَّة ذاتها.

---

[1] _ يُنظَر:
_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص48_ 53
_ النظريَّة البراجماتيَّة اللسانيَّة (التَّداوليَّة)، د.محمود عكاشة، ص 107_108

[2] _ يُنظَر:
_ التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، ص66
_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص51_52

3_ الأفعال الكلاميَّة في الدِّراسات العربيَّة:

إنَّ الباحث في تضاعيف مصنَّفات العلماء العرب القدماء من نحويين ولغويين وبلاغيين ومفسِّرين وأصوليين وقرَّاء يستطيع أن يستكشف بذوراً لنظرية الفعل الكلامي وملامحاً لنظريَّةٍ تداوليَّةٍ مُحكَمةٍ تُعنَى بالسياق الاجتماعي والثَّقافي والشَّرعي، وتبرز عنايتها بالسياق الاجتماعي من خلال اهتمامها بمعطيات المقام وملابسات العمليَّة التَّواصليَّة والقرائن غير اللفظيَّة مثل البيئة المكانية التي تكتنف الحدث اللغوي وأحوال المشاركين فيه، خصوصاً قطبي العملية التَّواصليَّة المتكلِّم والسَّامع[1]، ومن أبرز المصنَّفات التُّراثيَّة التي اكتنفت ملامحاً للنظريَّة التَّداوليَّة ونظرية الأفعال الكلاميَّة خصوصاً: أصول السَّرخسي، والرِّسالة للشَّافعي، والخصائص لابن جنِّي، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والبيان والتَّبيين للجاحظ، ومفتاح العلوم للسكَّاكي، وتفسير الرَّازي والإيضاح للقزويني[2].

أمَّا نظريَّة الأفعال الكلاميَّة فتتبلور جذورها التُّراثيَّة وتستبينُ أدواتها المنهجيَّة من خلال باب الخبر والإنشاء في علم المعاني وما دار حوله من مناقشاتٍ في كتب اللغة والبلاغة والنحو والفقه وأصول الفقه، وكانت هذه الظَّاهرة حقلاً مشتركاً بين تلك العلوم جميعها، فقد اهتم هؤلاء العلماء بقصدية المتكلِّم وعرفية الاستعمال في إطار دراستهم للأغراض البلاغيَّة للتَّراكيب ممَّا شكَّل معادلاً موضوعياً لاهتمامات نظرية الأفعال الكلاميَّة وتوجُّهاتها الحديثة[3]، وعلى الرَّغم من اختلاف المفسِّرين والأصوليين والنُّحاة والبلاغيين في هدف الدِّراسة وماهية النصوص المدروسة، فقد اتَّفقوا في العلاقة الجدليَّة بين النَّص ووظائفه وملابساته ومقامات إنجازه[4].

وقد عرف علماء العربية القدماء هذه النَّظريَّة بكل أبعادها وعلى الرَّغم من انبثاقها لدى العديد من العلماء آنذاك فإنَّ إرهاصاتها الأولى تعود إلى علماء الأصول؛ فقد كانوا علماء لغةٍ ومناطقة وقضاة وعملوا في الفقه واستخراج الأحكام من القرآن الكريم والحديث النبوي الشَّريف، وتوجيه الدَّلالات في نصوصهما،

---

[1] _ يُنظَر:

_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص88

_ نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويَّة في التراث العربي والإسلامي)، د.هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م، ص225

[2] _ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداوليَّة، محمد مدور، مجلة الواحات للبحوث والدِّراسات، العدد 16، 2012م، ص52

[3] _ يُنظَر:

_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص88

_ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداوليَّة، محمد مدور، ص52

[4] _ لحظة ميلاد التَّداوليَّة (نظرية الأفعال الكلاميَّة)، مسعود صحراوي، دار التَّنوير، الجزائر، الطبعة الأولى، 2023م، ص 194

ممَّا اقتضى عنايتهم بالجوانب الفعلياتيَّة اللغويَّة، فاهتمُّوا بالتَّراكيب اللغويَّة والأغراض الإبلاغيَّة التَّواصليَّة النَّاجمة عنها وأثر السِّياق اللغوي وغير اللغوي في توجيه دلالات التَّراكيب، ودرسوا أساليب تأليف الكلام وأغراضه ومقاصده ووجوه استعماله والمعاني العديدة الناجمة عن تلك الوجوه، وتناولوا أنواع المعنى ودرسوا الوضع والعرف والتَّلويح والتَّعريض والقصد والمعنى النَّفسي، واكتشفوا أنَّ وظيفة اللغة لا تقتصر على التَّقرير أو الإخبار أو الوصف، بل هي أداةٌ للفعل أيضاً، كما اكتشفوا الإنجازيَّات بأنواعها وتحدَّثوا عن الصفة العرفيَّة لبعضها، وأدركوا عناصر الفعل الكلامي ((فعل القول، الفعل الكلامي، التَّأثير الكلامي))، وتبدو المفارقة بين دراساتهم هذه ودراسات التَّداوليين المعاصرين في المصطلحات المُستخدمة والجزئيَّات الفرعيَّة والشَّواهد التَّوضيحيَّة، ففي حين استمدَّ المعاصرون شواهدهم من الحياة اليوميَّة فقد استقاها الأصوليُّون من القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشَّريف، أمَّا المصطلحات فقد أطلقوا على "أفعال الكلام والإنجازيَّات" مصطلح "الإنشاء" بنوعيه الطَّلبي وغير الطَلبي(الإيقاعي)، كما استخدموا مصطلح " إرادة الدَّلالة بالصِّيغة على الفعل" مقابل مصطلح "الفعل الكلامي" واستعملوا كذلك مصطلح " إرادة الفعل أو الأثر المطلوب" مقابل " التَّأثير الكلامي أو نتائج الكلام"، كما أطلقوا على "فعل الأمر" " إرادة المأمور به أو إرادة الامتثال" [1].

أمَّا النُّحاة فقد اهتمَّ بعضهم بمعاني الكلام وأساليبه وظروف إنتاج الخطاب وملابساته وأغراضه ودلالاته ومقاصد المتكلِّمين وعلاقتهم بالمخاطبين خلال العمليَّة التَّواصليَّة؛ فنحوهم لم يفصل بين مباني التَّراكيب ومعانيها، ولم يباعد بين بناء الجملة وظروف إنتاج ذلك البناء وملابساته؛ فهو يتمُّ بفعل منظومةٍ لغويَّةٍ تداوليَّةٍ من خلال ملفوظٍ معيَّنٍ ومتكلِّمٍ ومخاطبٍ معيَّنين في إطار مقامٍ معيَّنٍ لتحقيق مقاصدَ وأغراضٍ تواصليَّةٍ إبلاغيَّةٍ مُعيَّنةٍ، وقد قام هؤلاء النحاة بتقسيم الجملة إلى خبريةٍ وإنشائيَّةٍ، ومنهم من قسَّمها إلى خبريَّة وإنشائيَّة وطلبيَّة، لتختلف بناءً على هذه التَّقسيمات طبيعة التَّراكيب ووظائفها، فذلك التَّقسيم يُؤدِّي إلى اختلاف في الصِّيغ الشَّكليَّة من خبر واستفهام وأمر ونداء ونهي وتمنِّي، بالإضافة إلى اختلاف العلاقات التَّركيبيَّة النَّحويَّة التي تخضع لها هذه الصِّيغ من حذف وتقديم وتأخير وفصل ووصل، وعلاقة هذه الصِّيغ بعضها ببعض من خلال خروج دلالة تركيب إلى دلالة تركيب آخر، فقد بحث النحاة في

[1] _ يُنظَر:
_ نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويَّة في التراث العربي والإسلامي)، د. هشام عبد الله الخليفة، ص225_226
_ التَّداوليَّة عند العلماء العرب((دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي))، مسعود صحراوي، ص130_ 133

خروج المعاني الأصليَّة والمباشرة للتَّراكيب إلى معانٍ ضمنيَّة وغير مباشرة واستلزاميَّة يحدِّدها السياق والمقام وظروف إنتاج النَّص وملابساته، وبهذا يتَّضح دور النُّحاة في تقعيد مفاهيم علم المعاني وتطبيقها في دراساتهم[1].

أمَّا البلاغيون فكانوا يرتكزون إلى مقاييس معيَّنة عند تصنيف أفعال الكلام "معاني الكلام"، خصوصاً عند تقسيمهم الكلام إلى قسميه الرَّئيسيين: الخبر والإنشاء، ويستبين إدراكهم للصفة الإنجازيَّة للإنشاء انطلاقاً من فهمهم لمعايير ذلك التَّصنيف، ولا بدَّ هنا من الإشارة إلى اعتراف البلاغيين بأسبقية الأصوليين في دراسة موضوع الخبر والإنشاء، ولا بدَّ كذلك من الإشارة إلى أنَّ البلاغيين قبل السَّكاكي وشُرَّاحهِ لم يستخدموا مصطلح إنشاء إلى أن استمدَّهُ الشُّراح من الأصوليين فظهر لدى القزويني والتَّفتازاني والسُّبكي...إلخ، فالأصوليون مع علماء الكلام كانوا سبَّاقين للاستعمال الإنشائي أو الإنجازي للكلام، من هنا فإنَّ مباحث علم المعاني مثل الخبر والإنشاء وغيرها لم يعرفها البلاغيون قبل تداولها لدى المتكلِّمين والأصوليين[2].

ويبدو أنَّ تأصيل نظرية الفعل الكلامي لدى البلاغيين العرب يرجع بدايةً إلى اهتمامهم بقضية اللفظ والمعنى، فالمفاضلة بين طرفي هذا الثنائي بلاغيّاً أدَّت إلى إدراكهم لمكوِّنات الفعل الكلامي لكن من منظورهم الخاص وبطريقة غير مباشرة، فقد ميَّزوا بين (المعنى الأوَّل) أي (فعل القول) أو (إرادة الصِّيغة) أو (أصل المعنى)، وبين (المعنى الثَّاني) أي (الفعل الكلامي) أو أغراض الكلام من أمر ونهي وتعظيم وتحقير ووعيد وتهديد، وقد شاع لديهم في هذا السِّياق مصطلحا (المعاني الأُول) و(المعاني الثَّواني) وقد اختلف مدلولهما ما بين علم البيان والمعاني، ويُذكَر أنَّ عبد القاهر الجرجاني كان أوَّل من استخدمهما وذلك في علم البيان تحت مُسمَّى (المعنى) و(معنى المعنى)، لكن لم يندرج استخدامهما لديه تحت ما يُسمى في نظرية أفعال الكلام ب(فعل القول) و(الفعل الكلامي)، بل كان أقرب إلى (المعنى الحقيقي) و(المعنى الكنائي) في نظرية التَّلويح[3].

---

[1] _ يُنظَر:

_ التَّداوليَّة عند العلماء العرب((دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي))، مسعود صحراوي، ص174_176

_ التَّأصيل لأفعال الكلام في التراث اللغوي العربي، حليمة بو الرِّيش، مجلة AL-Andalus Magreb، جامعة cades، إسبانيا، العدد 25، 2018م، ص11_12، الموقع الالكتروني للمقال: http://portal.amelica.org/ameli/journal/475/4753034005/

[2] _ نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويَّة في التراث العربي والإسلامي)، د. هشام عبد الله الخليفة، ص226_ 239

[3] _ المرجع نفسه، ص422_423

ب_ الدِّراسة التَّطبيقيَّة:

تبقى الدِّراسة النَّظريَّة لأيَّةِ ظاهرةٍ قاصرةً عن إيضاحها وإدراك كنهها ومراميها واستيعاب أبعادها إذا لم تُسعَف بدراسةٍ تطبيقيَّةٍ تنقلها من السكون إلى الحياة، فكيف يكون الأمر إذاً ونحن نتناول الأفعال الكلاميَّة التي تنطلق أساساً من دراسة اللغة في استعمالها؟ من هنا كان لا بدَّ لنا من دراسة هذه الظَّاهرة نصيّاً علَّنا نستكشفها تطبيقيّاً ونقف على ما قَصُرَت عن إيصاله الدِّراسة النَّظريَّة، وقد توخَّينا دراستها في شعر نزار قبَّاني*؛ لأنَّ الشعر الحديث يمثِّلُ بيئةً خصبةً ملائمةً وسهلةً لتطبيق التَّداوليَّة من جهة؛ ولأنَّ لغته أقرب ما يمكن إلى اللغة اليوميَّة ممَّا يساعد في تحليل أفعال الكلام والتماس مقاصد المُرسل في نصِّه، بالإضافة إلى التقاء التَّداوليَّة والشعر الحديث في معالجة السِّياق الاجتماعي، ثم إنَّنا توجَّهنا إلى دراسة الأفعال الكلاميَّة وفق تصنيفات سيرل؛ لأنَّ نظريَّته تمثِّلُ مرحلةً متقدِّمةً وناضجةً على سابقه أوستن، كما اعتمدنا تقسيم أوستن الأخير الثلاثي للفعل الكلامي؛ لأنَّهُ الأنجع في تحليل الأفعال الكلامية واستكشاف قواها الإنجازيَّة وتأثيراتها على المتلقِّين.

1_ الإخباريَّات:

إنَّ القارئ لديوان "الأعمال السياسيَّة الكاملة لنزار قبَّاني" يلحظ هيمنة الأفعال الإخباريَّة قياساً ببقية الأفعال الكلاميَّة، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى الشَّخصيَّة الثَّائرة التي امتاز بها القبَّاني، فجاء شعره السياسي ليصدح بما يكتنه نفسه وتراه عيناه من حقائق أراد تقريرها وتوكيدها وبثَّها للمتلقي، فكانت الأفعال الإخبارية أداته النَّاجعة لنشر رؤيته والتَّعبير عن ثورته النَّابضة المُنتقِدَة لكلِّ ما خالف جوهره ومعتقدَهُ، ومن ذلك ما جاء في نصِّه "القصيدة .. والجغرافيا":

((في بلادِ الغربِ، يا سيِّدتي
يُولَدُ الشَّاعرُ حُرَّاً
مثلما الأسماكُ في عَرضِ البِحارْ
ويُغنِّي ..
بين أحضان البُحيراتِ،
وأجراسِ المَراعي،
وحقُولِ الجُلَّنارْ.

* _ سنقتصر على ديوان "الأعمال السياسيَّة الكاملة "، نزار قبَّاني، منشورات نزار قبَّاني، بيروت، لبنان، الطبعة الثَّانية، 1999م، الجزء السادس.

... ولدينا
يُولَدُ الشَّاعرُ في كيسِ غُبارْ
ويُغنِّي لمُلُوكٍ من غُبارٍ
وخيولٍ من غبارٍ
وسيوفٍ من غبارٍ .
إنَّها مُعجزةٌ ..
أنْ يصنعَ الشِّعرُ من الليلِ نهارْ
إنَّها مُعجزةٌ ..
أنْ نزرعَ الأزهارَ،
ما بين حصارٍ، وحصارْ ..
نحنُ لا نكتبُ
_ مثلَ الشَّاعر الغربيِّ، شعراً _
إنَّما نكتبُ يا سيِّدتي،
صكَّ انتحارْ..))[1]

يُجري الشَّاعر في نصِّه هذا مقارنةً ما بين الشَّاعر الغربي والشَّاعر العربي من خلال مجموعةٍ من الأفعال الكلاميَّة، فعند حديثه عن الشَّاعر الغربي استخدم فعلي القول "يُولَد، يغنِّي" لقصدٍ في نفسه عبَّر عنه الفعل الإنجازي وهو تقرير حرية الشَّاعر الغربي والإعجاب بها، وجاءت القرائن السياقيَّة المقاليَّة لتكشف عن هذه القوى الإنجازية، اتَّضح ذلك بجعله الشاعر الغربي يُولَد حراً كالأسماك في عرض البحار، ويغني في رحاب الطَّبيعة، فهو يقرِّر ولادته وغناءه حراً بلا قيود، إلَّا أنَّ قصدية الشَّاعر لا تقف عند تقرير حريَّة الشَّاعر الغربي والإعجابِ بها، بل إنَّها ترمي لأبعدَ من هذا من خلال الأفعال التَّأثيرية لفعلي القول "يُولَد، يُغنِّي" التي تتبدَّى من خلال التَّحسُّر على هذه الحرية التي ينعم بها الشَّاعر الغربي منذ ولادته وخلال حياته أيضاً. ويأتي السياق اللاحق قرينةً دالةً على الفعل التَّأثيري "التَّحسُّر".

ويتناول الشَّاعر بالمقابل حال الشَّاعر العربي من خلال فعلي القول ذاتهما اللذين وظَّفهما آنفاً للشَّاعر الغربي وهما "يُولَد، يغنِّي"، فهل بقيت قوى الأفعال الإنجازية ذاتها أم أنَّها تغيَّرت هاهنا مع الشَّاعر العربي؟ يبدو أنَّ القوى الإنجازية لهذين الفعلين تتبَّدى كذلك في التَّقرير، ولكن تقرير الضَّعف والتَّقييد

[1] _ الأعمال السياسية الكاملة، نزار قبَّاني، منشورات نزار قبَّاني، بيروت، لبنان، الطبعة الثَّانية، 1999م، الجزء السادس، ص160_162

والتَّكبيل، فالشَّاعر العربي لا يُولَدُ حراً، بل يُقيَّد بكيس ضعيف من غبار، فقد اجتمعت دلالة التَّقييد الضَّيِّق في الكيس مع دلالة الضَّعف في الغبار، وكل ما يُغنِّي له كذلك لا شأن له، فهو هباءٌ منثورٌ كالغبار، بمعنى أنَّ الشَّاعر العربي يُولَدُ مقيَّداً في نطاقٍ ضيِّقٍ لا قيمة لهُ، وكلُّ أشعاره تُنظَم لأشياءَ لا قيمة لها، ويبدو أنَّ الشَّاعر أراد هنا تحميل فعلي الولادة والغناء أبعاداً تأثيريَّة تتمثَّل في توبيخ الشَّاعر العربي من جهة، وتحريضهِ ليثورَ على واقعه الذَّليل من جهةٍ أخرى، وقد استعان لغاية هذا الفعل التَّأثيري التَّحريضي بالمقارنة التي أجراها ما بين الشَّاعر الغربي والعربي، وكأنَّهُ يخاطب الشَّاعر العربي سراً :" ثُر على واقعك، أُنظر لحالك ولحال الشَّاعر الغربي"، ففي هذين المقطعين نرى أنَّ النَّص يعوم على بنية عميقة تتكوَّن من ثنائيَّة ضديَّة تضع الشَّاعر الغربي والعربي على طرفي نقيض لتُؤجِّج النَّار وتُشعِل الثَّورة لدى الشَّاعر العربي.

يُتابع الشَّاعر في تقرير واقع الضَّعف لدى الشَّاعر العربي من خلال الأفعال الكلاميَّة القوليَّة المُكرَّرة " إنَّها مُعجزةٌ " لكنَّ الشَّاعر لا يُريد هنا فقط تقرير الضَّعف من خلال الأفعال الإنجازيَّة، بل يرمي لأبعدَ من هذا وهو إنجاز تأكيد هذا الواقع والتَّحسُّر عليه من خلال اعتماده أداة التَّوكيد "إنَّ" ، فهو يراها استحالة قاطعة أن يقلب الشِّعر واقع الحياة العربيَّة وأن يُغيِّرها تغييراً جذريّاً من الظلام إلى النُور ومن الموت إلى الحياة؛ لأنَّ الفاعل الحقيقي المُؤثِّر وهو الشَّاعر ضعيف مقيَّد وفاقد الشيء لا يعطيه، لكنَّ الشَّاعر وإن أراد هنا دلالة التَّقرير والتَّوكيد والضَّعف والتَّحسُّر من خلال القوى الإنجازية لهذه الأفعال الكلاميَّة " إنَّها مُعجزةٌ" فإنَّهُ يرمي كذلك إلى أفعالٍ تأثيريَّةٍ أخرى في الشَّاعر المتلقِّي تتمثل في نصحه وتحريك همَّته وحثِّه على العمل ليكون شاعراً مؤثِّراً فعَّالاً في الحياة قادراً على قلب الأمور رأساً على عقب، وهذه الدلالات المقصودة المطلوبة من الشَّاعر المُتلقِّي ليست بغريبةٍ على شاعرٍ مثل نزار قبَّاني امتاز بثورته على واقع مجتمعه، فكأنَّما يريد من كلِّ شعراء عصره أن يكونوا نزار قبَّاني الثَّائر على السَّائد والمعهود والمعروف والمغلوط.

يختم الشَّاعر نصَّهُ هذا بثنائيَّة ضديَّة عميقة بناها على النَّفي والتَّوكيد من جهة، وعلى الشَّاعر الغربي والعربي من جهةٍ أخرى من خلال الأفعال الكلاميَّة القوليَّة:

(نحنُ لا نكتبُ مثلَ الشَّاعر الغربيِّ شعراً /إنَّما نكتبُ يا سيِّدتي، صكَّ انتحارْ)، و التَّضاد هنا لا يقف عند الأفعال القوليَّة بل يتعدَّاها إلى القوى الإنجازية المُتضمَّنة في تلك الأفعال القوليَّة، بمعنى أنَّهُ كامنٌ في عمقِ التَّركيب الضِّدِّي ويلوح في أفق دلالته وتأوليه، فالأفعال الإنجازيَّة هنا تقريرية بين طرفي النَّقيض لكنَّها من جهة، تفيد مدح الشَّاعر الغربي وتحسين صورته بسبب أشعاره الحرة التي أخفى

أوصافها الشَّاعر مُكتفِياً بقوله "شعراً"، تاركاً للسياق السَّابق الدلالة على مراده ومقصدهِ، ومن جهةٍ أخرى تفيد تأكيد تردِّي واقع الشِّعر العربي وتقبيحهِ والتَّحسُّر على حرية الرَّأي وإظهار ضعف الشَّاعر العربي، فشعره صك انتحارٍ لهُ ويتَّضحُ ذلك أيضاً بقرينة السِّياق السَّابق، فهو شاعرٌ مقيَّدٌ ضعيفٌ، فإذا ما أراد حريَّة القول فهو كمن حفَرَ قبره بيده، والشَّاعر هنا وهو يرسم هذه الصورة الضعيفة للشَّاعر العربي، إنَّما يعمدُ إلى أفعالٍ تأثيريَّةٍ تختبئ وراء هذه الأفعال القوليَّة وتتمثَّل في نصحه وإرشاده إلى الثَّورة على واقعه وتغييره ليصبح كما هو الشَّاعر الغربي حرَّاً طليقاً.

2_ التَّوجيهيَّات:

إنَّ اطِّلاعاً على ديوان نزار قباني السياسي يُظهِر أنَّهُ يَندرُ بالتوجيهيات، فلا يهتم الشَّاعر بها بقدر اهتمامه بالإخباريات، فقد وجَّه الشَّاعر أوامره وإرشاداته ونصائحه في معظم ديوانه تلميحاً لا تصريحاً من خلال القوى الإنجازية والأفعال التَّأثيريَّة لمعظم الأفعال الكلاميَّة، أمَّا التَّوجيهيَّات بحد ذاتها فقد وقفنا عليها في بعض المواضع[1]، وكانت في معظم الأحوال تأتي متداخلةً مع الأفعال الكلاميَّة الأخرى ضمن النَّسيج النَّصِّي، باستثناء نصِّه " النَّصائح الذَّهبيَّة .. في أدب الكتابة النَّفطيَّة" الذي خصَّصه للتَّوجيهيَّات عموماً، إذ يقول فيه:

((لو شاءت الأقدارُ أن تكونَ كاتباً
يجلسُ تحت جُبَّةِ الصَّحافة النَّفطيَّه.
فهذه نصائحي إليكْ :
1_ أُدخُل إلى مدرسةٍ تُعلِّمُ الأُميَّهْ.
2_ أُكتُبْ بلا أصابعٍ.. وكُنْ بلا قضيَّهْ.
3_ اِمسَحْ حذاءَ الدَّولةِ العَلِيَّهْ.
4_ اشطِبْ من القاموسِ كلمةَ الحُريَّهْ.
5_ لا تتحدَّثْ عن شؤون الفَقْرِ، والثَّورة،
في الشَّوارعِ الخَلْفيَّهْ.
6_ لا تَنتقدْ أجهزةَ القَمْعِ، ولا تَضَعْ
أنْفَكَ في المسائلِ القوميَّهْ.

[1] _ يُنظَر على سبيل المثال:
_ الأعمال السياسية الكاملة، نزار قبَّاني، الجزء السادس، ص253_255، ص269_288، ص406_408، ص440، ص485_497

7_ كُنْ غامضاً .. في كلِّ ما تكتُبُ،
والِزَمْ مبدأَ التَّقيَّهْ.
8_ خَصِّصْ عَمُودَكَ اليوميّ للأزياءِ ..
والأزهارِ .. والفَضَائحِ الجنسيَّهْ.
9_ لا تتذكَّرْ أنبياءَ القُدْسِ .. أو تُرابَها ..
فإنَّها حكايَةٌ مَنْسِيَّهْ.
10_ لا تَرثِ بيرُوتَ التي ترمَّلَتْ
فالقتلُ فيها عادةٌ يوميَّهْ.
11_ لا تتعرَّضْ للسَّلاطين إذا تَعهَّروا ..
أو قَامَرُوا .. أو تاجروا .. فهذهِ مسألةٌ شخصيَّهْ
12_ ولا تقُلْ لحاكمٍ : إنَّ قِبابَ قصرهِ
مصنوعةٌ من جُثَثِ الرَّعيَّهْ ...))[1]

يبثُّ الشَّاعر في نصِّه هذا كوكبةً من النَّصائح للكاتب الصَّحفي في البلاد العربية التي أشار إليها بالقرينة اللفظيَّة "النَّفطيَّة"، ولعلَّه أدرج هذه اللفظة في إشارةٍ منه لبعض الدول العربية الثَّريَّة التي كان ثراؤها طامساً كثيراً من مظاهر الإنسانيَّة والعروبة والحريَّة فيها، فعبَّر الشاعر عن غياب هذه المظاهر فيها بسبب غطرسة الحكومات وتطبيعها تلميحاً مُعتمِداً جملةً من النَّصائح والإرشادات انطوت جميعها تحت أفعال الأمر والنَّهي.

1_ ففي النَّصيحة الأولى ينصح الشَّاعرُ الصحفيَّ بدخول مدرسةٍ لتعليم الأميَّة، والفعل الكلامي القولي "اُدخل" يخرج عن كونه أمراً إلى كونه فعلاً إنجازياً دالّاً على النَّصيحة بقرينة السياق السَّابق، كما أنَّهُ يُشير إلى فعلٍ إنجازيٍّ آخر هو التَّحقير والإهانة عندما جعل المدرسة العربية تُعلِّمُ الأميَّة بدل أن تمحوها، فهي إهانةٌ وتحقيرٌ لواقع التَّعليم العربي القائم على التَّسييس المُمَنهَج الذي يُحارب الإنسان الواعي لما يدور حوله، فكان لا بدَّ لهذا التَّعليم من طمس الأذهان بدل إنارتها، والشَّاعر هنا إنَّما يرمي إلى فعلٍ تأثيريٍّ يتمثَّل بتحريض المثقَّف العربي عموماً والصحفي خصوصاً على واقع التَّعليم في بلاده والثَّورة ضدَّهُ ليعودَ إلى المسار الصَّحيح.

[1] _ المرجع نفسه، ص253_255

2_ في النَّصيحة الثَّانية ينصح الشَّاعر الصحفيَّ بالكتابة من دون أصابع وهذا الفعل القولي ظاهرهُ استحالة لأنَّ فعل الكتابة يكون بالأصابع، فهل أراد الشَّاعر فعلاً إنجازيَّاً تعجيزيَّاً؟ نعم لقد أراد الشَّاعر هنا تعجيز الصّحفي من جهةٍ؛ لاستحالة التَّعبير عن حرية الرأي في البلاد العربية، كما أنَّهُ أراد تحذيرهُ؛ لأنَّ حريَّة رأيه ومصداقيَّته الصَّحفيَّة ستكون سبباً في بتر أصابعه في بلاده، بلاد الطغيان والغطرسة، وهو بهذا إنَّما يرمي إلى فعلٍ تأثيريٍ في ذلك الصَّحفي وهو ضرورة التَّعبير عن حرية الرَّأي والمصداقيَّة الصّحفيَّة تلميحاً غيابيَّاً لا تصريحاً من جهة، وضرورة الثَّورة على هذه الحكومات المُتغطرِسة الكابتة لشعوبها من جهةٍ أخرى.

أيضاً ينصحه بأن يتجرَّد من القضايا في محاوره الصحفيَّة، والمقصود هنا بالقضايا بالتَّأكيد هي القضايا الوطنيَّة والقوميَّة بقرينة السِّياق اللاحق، والفعل القولي الكلامي هنا "كن" إنَّما يُشير إلى فعلٍ إنجازيٍّ آخر يتجسَّد في الإهانة والتَّحقير؛ لأنَّه يُفرِّغ هذه المهنة النَّبيلة من أعظم رسائلها وهي الهمُّ الوطني والقومي، وهو بهذا الفعل الكلامي "كن بلا قضيَّة" إنَّما يرمي إلى فعلٍ تأثيريٍّ في المتلقِّي يقوم على نقيض الظَّاهر، فكأنَّهُ يحرِّضهُ حتى لا يتخلَّى عن القضايا الوطنيَّة والقوميَّة.

3_ في النَّصيحة الثَّالثة يبدو من ظاهر الفعل القولي أنَّ الشَّاعر يُوجِّه الصِّحفي ليكون خانعاً ذليلاً لدولته، وفي هذا قوة إنجازيَّة دالَّة على التَّحقير والإهانة لصحفيّي العرب لانقيادهم لقياداتهم السياسية العليا ذلّاً وضعفاً، إلَّا أنَّ هذه النَّصيحة تحملُ بعداً تأثيريَّاً في الصحفي المُتلقِّي قائماً على تحريضه وإشعال همَّته ليتمرَّد على قياداتِ دولته المُستبِدَّة.

4_ في النَّصيحة الرَّابعة يتعمَّد الشَّاعر إهانة الصحفي وتحقيره من خلال القوة الإنجازية للفعل القولي "اشطب"، بمعنى أنت جبان غير قادر حتَّى على النطق بهذه الكلمة في مقالاتك، ومن هذا الفعل الإنجازي ينبثق فعلٌ تأثيريٌ يُحرِّض الصحفي ليكون حرَّاً قولاً وفعلاً.

5_ في النَّصيحة الخامسة ينهى الشَّاعرُ الصحفيَّ عن تناول القضايا الأساسيَّة الاجتماعية والسياسية كالفقر والثورة، لكنَّ هذا الفعل القولي يحمل بعداً إنجازيَّاً آخر يتمثَّل في التَّوبيخ؛ لأنَّهُ يجرِّد الصحفي من أهم محاور عمله وهو طرح القضايا الاجتماعية والسياسيَّة وكأنَّ الشَّاعر بنصيحته هذه يجعل مهنة الصحافة بلا معنى ولا غاية، وفي هذا دلالة تأثيرية موجَّهة إلى أعماق الصحفيين العرب لئلَّا يتخلَّوا عن جوهر مهنتهم الرَّئيس.

6_ في النَّصيحة السَّادسة تُوجِّه الأفعال القوليَّة الماثلة في تراكيب النَّهي الصحفيَّ إلى تجنب التَّعرُّض لغطرسة القيادات العربية، والابتعاد عن تناول القضايا القوميَّة، وفي هذا إمعانٌ في إذلال الصحفي العربي وتحقيرِهِ؛ لأنَّ هذا النَّهي جاء بعد سلسلة من الأفعال المحظورة عليه من جهة؛ ولأنَّ المنهيَّات

في هذه النَّصيحة من أكثر القضايا خطورةً في الدول ذات القيادات المُستبِدَّة، وبقدر حِدَّةِ هذه المنهيات في سطح التَّراكيب نرى حدَّة تأثيرها في ماوراء الدلالات؛ لأنها تُفصِح عن أفعالٍ تحريضية تأثيريَّة تهدفُ لتناول منهيَّات ومحظورات تلك القيادات المُستبِدة ومواجهتها.

7_ تبدو النَّصيحة السَّابعة مختلفة نوعاً ما عمَّا سبقها وما سيليها؛ لأنَّ تراكيب الأمر في الأفعال القولية هنا تحمل قوىً إنجازيَّةً ناصحةً مُرشدةً حقَّاً، فالشاعر يوجه الصحفي للغموض اجتناباً للضرر والأذى ولاتقاء شر الحكومات الفاسدة، فبهذا يستطيع أداء مهنته بإخلاص وإيصال رسالته المنشودة بغموضٍ وتخفٍّ من دون التعرض للأذى الناجم عن التصريح والتلقائية المباشرة، وهذه الدلالة الإنجازية الإرشادية تُومئ بفعل تأثيري أراد الشاعر قوله للصحفي يكمن في التَّواري والحذر عند أداء مهامه بعيداً عن التعجيز والسخرية والتحقير...الخ التي رأيناها في النصائح السَّابقة.

8_ لكنَّ الشَّاعر ما يلبث أن يعود في النَّصيحة الثَّامنة إلى السخرية من الصحفي العربي من خلال توجيهه لقصر اهتماماته على الأمور السخيفة كالأزهار والأزياء والفضائح الجنسية، ففعل الأمر القولي "خَصِّصْ" يشير لقوة إنجازية دالة على السخرية؛ لأنه يُقصي الصحفي عن القضايا الأساسية ويجعل عملهُ محصوراً في دائرة ضيقة تُعنى بقشور الحياة، إلَّا أنَّ هذا الفعل الإنجازي يُلمِح لفعل تأثيري آخر يعبر عن توجيهٍ جديدٍ من الشاعر للصحفي، وكأنَّ الشاعر أراد أن يقول له: كُن مؤثِّراً فاعلاً في القضايا الجوهريَّة لمجتمعك ولا تعبأ بسفاسف الأمور.

9_ في النصيحة التاسعة والعاشرة تتجه تراكيب النهي في الأفعال القولية إلى إبعاد الشَّاعر عن تناول القضايا العربية الرَّئيسة في لبنان وفلسطين، وتراكيب النَّهي هذه إنَّما تتضمَّن أفعالاً إنجازيَّةً قائمةً على التحَّقير والتَّوبيخ، إلَّا أنَّ التحقير والتّوبيخ هنا ليس فقط للصحفي، وإنَّما للقيادات العربية التي تخلَّت عن جراح أخوتها وقضاياهم الجوهرية في فلسطين ولبنان، فكأنَّ الشاعر هنا يوجِّه الصحفيين ويقصد القيادات أيضاً؛ لأنَّ معالجة قضايا الحرب الدائرة في البلاد العربية الشقيقة ليست من مهام الصَّحافة فقط، بل من مهام القيادات العسكرية والسياسية في البلاد أيضاً، ويبدو أنَّ الشاعر رمى من خلال هذه الأفعال الإنجازيَّة إلى أفعال تأثيرية في الصحفيين تكمن في توجيههم لتناول هذه القضايا التي غيَّبتها القيادات وعدَّتها أموراً اعتياديَّة طبيعيَّة، علَّ هذا الطرح الصحفي يُحرِّك الضَّمائر القياديَّة العربيَّة النَّائمة ويُسهم في إيقاظها.

10_ في النَّصيحة الحادية عشرة والثَّانية عشرة تتجه الأفعال القوليَّة في تراكيب النَّهي إلى إبعاد الصحفيين عن التعرض لفساد الحكام وظلمهم، وفي هذا النهي قوىً إنجازيَّة قائمة على تحقير الطَّرفين

وتوبيخهما، الحاكم لفساده وظلمه، والصحفي لضعفه، كما أنَّ الأفعال الإنجازية هنا تحمل دلالة التَّنبيه للصحفيين؛ لأنَّ عواقب التعرض للحكام وخيمة، وعلى الرغم من هذا يبدو أنَّ مراد الشَّاعر البعيد هو التَّأثير في الصحفيين وتحريضهم على الحكام، فالثورة تبدأ بشرارة الكلمة.

أخيراً: يُلحَظ من خلال تناول الأفعال القولية والإنجازيَّة والتَّأثيرية في تراكيب الأمر والنَّهي في النَّص السابق أنَّ الأفعال القولية وإن كان ظاهرها الأمر والنَّهي فإنَّ معظمها حمل دلالات إنجازية أخرى كالتَوبيخ والتَّحقير والتَّعجيز والتَّهديد والنصح والإرشاد والتَّنبيه، كما دلَّت على أفعال تأثيرية أخرى مثَّلت المقصد الرَّئيس للشَّاعر وهو الثورة على واقع الصحافة العربية والتَّحريض على قيادات القمع العربية، فالشَّاعر في معظم الأفعال القولية السَّابقة وجَّه الصَّحفيين لأمورٍ وأراد نقيضها في إشاراتٍ منه لضرورة تغيير واقع الصحافة والبلاد العربية، وكأنَّهُ أراد أن يجعل من كل صحفي عربي نسخةً من نزار قباني المُتمرِّد الثَّائر الذي تحدَّى الجميع، وتخطَّى بشعره كل حدود المنهيَّات والمحظورات والممنوعات.

3_ الالتزاميَّات:

لا نقف في ديوان القباني هذا إلَّا على مواضع نادرة دالَّة على أفعال القول الوعدية على الرَّغم من طبيعة القباني الثَّائرة التي تقتضي من صاحبها وتتطلب منه أن يكون مثالاً للعهود والمواثيق المقطوعة لقلب المجتمع رأساً على عقب وتغييره تغييراً جوهريَّاً، إذ نلاحظ أنَّ الشاعر في جلِّ ديوانه ينتقد المجتمع والمواطنين والحكَّام محاولاً توجيه الشعب إلى الثورة على هذا الواقع الفاسد وتغييره، ومن تلك الوعديَّات النَّادرة في ديوانه قوله في قصيدته"استراتيجيَّة":

((سأبقى أُغنِّي ..
سأبقى أُغنِّي..
إلى أن أُحطِّمَ من يَعبدُونَ الفُروجَ..
ومَنْ يشترونَ بشيكَّاتِهِمْ
بَنَاتِ الهوى..
ورجالَ القَلَمْ..
سأَبقَى أُغنِّي
برغْمِ عويلِ الرِّياحِ، وعَصْفِ المَطَرْ
وهم يركُضُونَ وراءَ القصيدةِ،
مثلَ كلابِ الأثَرْ..))[1]

[1] _ المرجع نفسه، ص321

ينهج نزار قباني نهجاً واحداً في معظم ديوانه السياسي؛ إذ يحارب الفساد بكل أشكاله من خلال رسائله السامية التي يبثُّها في أشعارهِ، وفي نصِّهِ هذا لا يخرج عن هذه الرسالة السامية بل يؤكِّدها من خلال تكرار الفعل القولي" سأبقى أُغنِّي .." ثلاث مرَّات، فهو يُكنِّي بفعل الغناء عن فعل كتابة الشِّعر وإلقائهِ، فالشاعر سيبقى كاتباً للأشعار مجابهاً تلك الفئة الفاسدة من المجتمع التي تسير وراء أهوائها الجسديَّة ومصالحها الشَّخصيَّة فتدفع أموالها للعاهرات تحقيقاً للمتعة الشخصية، كما تدفعها لشريحة "رجال القلم" وهم الكتاب والمفكرون والأدباء والمؤرخون والصحفيون...إلخ، الذين يُسهمونَ بقلمهم في تلميع صورة تلك الفئات الفاسدة من العصابات والقادة وأصحاب النفوذ والثروات ليظهروا بأبهى حلة وأحسن صورة أمام فئات المجتمع الأخرى، لتكون حرب القباني معهم هنا حرب قلمٍ لقلمٍ وكلمةٍ لكلمةٍ؛ فهو لا يحاربُ الفاسدين فقط، بل من يُجمِّلُ صورتهم من رجال القلم أيضاً، والأفعال القوليَّة التي يوظِّفها القباني هنا " سأبقى أُغنِّي .." إنَّما تتضمَّنُ أفعالاً إنجازيَّةً أراد بها أن يَعِدَ الشعب بمتابعة مسيرة الكفاح ضد الفساد، ووضْع نفسه موضعَ من يقطع عهوداً ومواثيقَ على نفسه باستمرارية تلك المجابهة على الرغم من كل الصعوبات والأصوات المعادية لنهجه، وهو إذ يكرر هذه الأفعال القولية ثلاث مرات إنَّما يؤكد إصراره على متابعة النضال من جهة، كما يرمي إلى أفعال تأثيرية في المتلقين مفادها تنبيههم واستثارتهم ليَعُوا حقيقة الفاسدين في مجتمعهم ويحاربوها، وتبدو قوة العهود والمواثيق التي يقطعها القباني على نفسه في هذه الوعديَّات من خلال تضافر عدة دلالاتٍ وهي:

_ دلالة التوكيد الناجمة عن تكرار الوعد " سأَبقَى أُغنِّي" ثلاث مرات.

_ دلالة الاستقبال الناجمة عن التسويف في حرف السين، والوعد يقتضي أفعالاً استقباليَّة لا ماضية أو حاليَّة.

_دلالة الثبات على نفس الموقف النابعة من معنى الفعل "أبقى".

_ دلالة قوة العزيمة المُتَّضِحة من خلال استمرارية المواجهة بالرغم من العقبات في نهاية المقطع الشعري.

_ دلالة الثقة بالنفس من خلال استهزاء الشاعر بخصومه عندما وصفهم ب" كلابِ الأثَرْ".

ومن الوعديَّات أيضاً ما جاء في قصيدتهِ "محاولةٌ تشكيليَّةٌ لِرَسْمِ بيروت":

((عندما ترجعُ بيروتُ إلينَا
بالسَّلامَهْ..
عندما ترجعُ بيروتُ التي نعرفُها

مثلما ترجِعُ للدَّارِ الحَمَامَهْ..
سوفَ نرمِي في مياهِ البحرِ
أوراقَ السَّفَرْ..
وسنستأجِرُ كُرسِيَّينِ في بيتِ القَمَرْ..
وسَنقضي الوقتَ،
في زرع المَواويلِ ..
وفي زرعِ الشَّجَرْ))[1]

ففي هذا النَّص نرى أنَّ الأفعال القوليَّة (سوفَ نرمِي، سنستأجِرُ، سَنقضي) تتضمَّنُ أفعالاً إنجازيَّةً وعديَّةً؛ لأنَّ الشَّاعر يَعِدُ المتلقي بتمزيق جوازات السَّفر، والعودة إلى ديار بيروت وإحيائها من جديد، وهو بهذه الأفعال الإنجازيَّة إنَّما يرمي إلى أفعالٍ تأثيريةٍ في المتلقِّي تتمثل في بعث روح الأمل والتَّفاؤل في قلبه من جديد بأنَّ الحرب الأهليَّة والفتنة ستنتهي في بيروت وستُبنى بيروت من جديد بسواعدِ أبنائها ومُحبِّيها، إلَّا أنَّ الوعديات في هذا النَّص تبدو أضعف ممَّا هي عليه في النص السابق "استراتيجيَّة"؛ لأنَّ الوعديات والمواثيق هنا مرهونة بخروج بيروت من الحرب الأهلية وسلامتها من الفتنة، ولو أنَّ الشاعر جعل تلك العودة إلى بيروت وتلك الوعديات من دون شروطٍ مُسبَقةٍ لكان ذلك أوقَع في نفس المتلقِّي وأعظمَ تأثيراً؛ فالعهد حينئذٍ سيكون مقروناً بالتَّحدي كما في نص "استراتيجيَّة" و واقعٌ لا محالة، وليس مشروطاً بتغيُّر الظروف، فهذا الشرط أَضْعَفه في نفس المتلقي؛ لأنَّهُ ربما يفي بوعده في حال تحقق الشرط، وربما لا في حال عدم تحقُّقِهِ.

4_ التَّعبيريَّات:

نقفُ في نص نزار قباني على أنماطٍ شتَّى من التعبيريات يُفصحُ من خلالها عن حالته النَّفسيَّة، وتتنوَّع هذه الإفصاحات ما بين الشكر والمواساة وعبارات التَّهنئة والاعتذار، إلَّا أنَّ القوى الإنجازية لهذه التَّعبيريات قد تُشيرُ مباشرةً إلى مقصد القبَّاني ومرماه، وقد تخرج عن ظاهر القصد المرسوم لها المُترائي للمتلقِّي، لِتُشير إلى أفعالٍ إنجازيَّةٍ محدَّدةٍ تخدم الرسالة السَّامية التي يبثُّها القباني في ديوانه ويحملُ عبأها في جلِّ قصائده، فمن أفعال الشكر الكلاميَّة ما جاء في نصِّه "كُتَّابٌ بِلا أَصَابِعْ":

((شُكْراً .. لِمَنْ يَقرؤُنَا
على امتِدادِ هذهِ الخَريطَةِ الرَّمْلِيَّهْ
شُكْراً .. لِمَنْ يَقْرَؤُنا

[1] _ المرجع نفسه، ص240_241

فِي الغُرفِ السِّرِيَّهْ
فنحنُ كُتَّابٌ بِلا أَصابِعٍ
وأَنبياءٌ دُونَ أَبْجَدِيَّهْ ...))[1]

فالأفعال الكلاميَّة "شُكْراً" تحملُ قوىً إنجازيَّةً مؤدَّاها شكر الشاعر لكلِّ إنسانٍ عربيٍّ يقرأ أشعارهُ وأشعار شريحة الشعراء الرَّافضين لواقع المجتمعات العربيَّة، ويأتي السياق اللغوي هنا قرينةً دامغةً على دلالة الشكر المُرادة المقصودة؛ فهذه القراءة محفوفة بالمخاطر لذا فهي سريَّة من جهة، وتستدعي الشكر من جهةٍ ثانيةٍ، فمن يقرأ هذه الأشعار قد يتمثَّل نهجها فيصبح هو والشَّاعر في ذات المخاطرة وفي نفس الموقع والمسار والاتجاه، وهذا يُمثِّل الفعل التَّأثيري لهذه الأفعال الكلاميَّة، فالشَّاعر يريد من كلِّ قارئٍ أن يصبح نزاراً آخر؛ من هنا فهو يشكره ليشحذ همته ويُشجِّعهُ على المضي قُدُماً في هذه الرسالة السامية، رسالة نقد سلبيات المجتمع ومن ثمَّ قلبها إلى إيجابيَّات.

ومن أفعال العفو الكلاميَّة ما جاءَ في نصِّهِ "كتاباتٌ على جُدْرَانِ المَنْفَى":

((يا سيِّدتي:
أطلبُ عَفْوَكِ ..
إنْ لم أكتبْ في عَيْنَيْكِ قصيدةَ شِعْرٍ
إنَّ العازِفَ نَسِيَ العَزْفَا.
كيفَ أُحِبُّكِ، يا سيِّدتي ؟
إنَّ مباحثَ أمْنِ الدَّولةِ
تُلْقي القَبْضَ على الأحلامِ ..
وتُرْسِلُ أهلَ العِشْقِ إلى المَنْفَى ..))[2]

وما جاء في نصِّه "هذا أنا ...":

((يا سادتي:
عَفْواً إذا أَقْلَقْتُكُمْ
أنا لستُ مُضْطَّراً لأُعْلِنَ تَوْبَتي
هذا أنا ...

[1] _ المرجع نفسه، ص163

[2] _ المرجع نفسه، ص193

هذا أنا ...

هذا أنا ...))[1]

ففعل العفو في النص الأوَّل يبدو في قوله" أطلبُ عَفْوَكِ"، وفي النص الثاني يبدو في قوله: "عَفْواً"، وتبدو المفارقة بينهما في أنَّ الفعل القولي في النَّص الأولَّ يتضمَّن فعلاً إنجازياً مؤدَّاهُ حقيقةً "طلب العفو"، فكما يبدو من ظاهر النَّص فإنَّ الشاعر يستسمح المرأة لأنَّهُ لم يكتب فيها قصيدة عشقٍ خوفاً من سلطات بلاده التي تمنعُ الشعر الغزلي، إلَّا أنَّ الشاعر هنا لا يرمي باطناً إلى التعبير عن خوفه من أنظمة بلاده وقوانينها وعاداتها بقرينة حاله، وسياق نصوصه الشعريَّة ودواوينه، فما هو معروف عنه أنَّهُ شاعرٌ صاحب كلمةٍ حرة جريئة في كل القضايا ولا سيما السياسية والغزلية، وإنَّما قصد من فعل العفو الكلامي إلى فعلٍ تأثيريٍّ في المتلقِّي مؤداه السخرية من واقع بلاده وسياساتها، واستنكار ملاحقتها لأصحاب الكلمة الحرة الجريئة المُنفَتِحة على معطيات الحياة المعاصرة.

أمَّا فعل العفو في النَّص الثَّاني "عَفْواً" فهو يتضمَّنُ فعلاً إنجازياً دالاً على تعظيم الشاعر نفسه من جهة، وسخريته واستهزائه بأصحاب الشأن في بلاده من جهةٍ أخرى، فالشاعر هنا لا يعتذر منهم ولا يستسمحهم، ولا يطلب عفوهم إن أخافتهم أشعاره أو أزعجتهم بقرينة السياق اللاحق الذي يُعبِّرُ فيه عن ثباته على مواقفه الجريئة وأشعاره الحرة ومعتقداته المُعاصرة، ولا يقف مقصد الشاعر هنا على الثنائية المتضادة (تعظيم الذات/ تحقير السادة)، وإنَّما يرمي إلى إسقاطها على المُتلقِّي من خلال الفعل التأثيري الناجم عن الفعل الإنجازي "عَفْواً"، و مفاده حثُّ المتلقي العربي على الثقة بالنفس ومعتقداتها وأفكارها وتحريضه على مواجهة أصحاب الشأن بها بقرينة تكراره "هذا أنا" ثلاث مرات.

أمَّا أفعال المواساة فنقف على نماذج لها في نصِّهِ "أربعُ رسائلَ ساذجة إلى بيروت":

((الرسالة الأولى

يا أصدقاءَ الحزن في بيروتْ:

كيفَ هيَ الأحوالْ؟

نسألكمْ . ونحنُ ندري جيِّداً

سَذَاجةَ السُّؤالْ.

نسألكمْ.

ونحنُ كالأيتامِ في جنازةِ الجَمَالْ.

[1] _ المرجع نفسه، ص332

الرِّسالة الرَّابعة

يا أصدقاءَ الصَّبْرِ، في بيروتْ

قُولُوا لنا:

في أيِّ أرضٍ يزرعونَ الصَّبر؟

قُولُوا لنا:

هل ممكنٌ أنْ تَنْهَضَ الوردةُ من فِراشِها؟

ويستفيقَ العِطْر.

هل ممكن أن ترجعَ الحروفُ من غُرْبَتِها؟

وأنْ يفيضَ الحبرْ.

هل ممكنٌ أنْ نستَعيدَ عُمْرَنا؟

من بعدِ ما هُمْ شَطَبُوا

أجملَ سَطْرٍ في كِتَابِ العُمرْ ...))[1]

ففي الرسالة الأولى تبدو أفعال المواساة الكلامية في ندائه لسكان بيروت وسؤالهم عن أحوالهم وأحوال مدينتهم المنكوبة جراء الحرب الأهلية الدائرة لديهم، فنرى أنَّ الأفعال الكلامية هنا في تركيبي النداء والاستفهام تحمل قوىً إنجازيةً تعبيريةً تؤدي معنى المواساة، كذلك في قوله:

"نسألكمْ..... ونحنُ كالأيتامِ في جنازةِ الجَمَالْ" يخرج هذا الفعل الكلامي إلى قوىً إنجازيةٍ تتضمن معنى المواساة؛ لأنَّ الشاعر هنا يقرن بين سؤاله لأهل بيروت عن الأحوال وما يعيشه أهالي دمشق من حزنٍ جراء تلك الأحوال، فكأنَّهُ يقول لهم مأساتكم مأساتنا، ومصابكم مصابنا، وبذلك فإنَّه يُعبِّر عن مواساته لبيروت وأهلها بمصابهم من خلال ندائهم وسؤالهم عن أحوالهم وجعل مصابهم مصاباً لدمشق أيضاً، ويبدو أنَّ أفعال المواساة هنا تؤدِّي فعلاً تأثيرياً في أهالي بيروت مفادهُ كُونوا أقوياء فقلوبنا معكم، فكأنَّهُ أراد ظاهراً المواساة والدعم النَّفسي لأهالي بيروت، وأراد باطناً شحذ عزيمتهم بالقوة والصلابة.

في الرسالة الرابعة نجد أيضاً أنَّ الأفعال القولية في تراكيب النداء والاستفهام تحمل أيضاً قوىً إنجازيةً تتضمن معنى المواساة، إلَّا أنَّ هذه القوى الإنجازية تؤدِّي أفعالاً تأثيريةً في المتلقين وهم أهالي بيروت، وفحوى هذه الأفعال التَّأثيرية حثَّهم على الصَّبر والأمل، فالشَّاعر يحثُّهم أن يصبروا على مُصابهم عندما

[1] _ المرجع نفسه، ص235_ 239

يُخاطبهم ب"أصدقاء الصَّبر" ويسألهم أين يُزرَعُ الصَّبر، ويحثُّهم أن يتيقَّنوا بأنَّ الواقع المأساوي الحالي سيتغيَّر، فتُشرقُ الزهور من جديد، وتنطلق الأشعار، وتتجدَّد الذكريات القديمة السعيدة.

وبذلك فإنَّ الأفعال القولية في كلا الرِّسالتين تحمل قوىً إنجازيَّةً تتضمَّن معنى المواساة، إلَّا أنَّ القوى الإنجازيَّة في الرسالة الأولى تؤدي أفعالاً تأثيريةً في المتلقين تتمثل في حثِّهم على القوة، وفي الرِّسالة الرَّابعة تؤدِّي أفعالاً تأثيريَّةً في المتلقين تتمثَّل في حثِّهم على الصَّبر والأمل بتغيير الواقع نحو الأفضل.

5_ الإعلانيَّات (التَّصريحيَّات) :

تشمل هذه الأفعال نطاقاً واسعاً من الأفعال الكلامية مثل أفعال: الزواج والطلاق، والبيع والشراء والإجارة، والإنكار والإقرار، والوكالة والدعوى والقذف، والوصية والهبة والوقف، والتنازل عن الحق، والإبراء من الدين، والقرارات القانونية الصادرة عن الجهات الرَّسميَّة، والنَّصر والهزيمة، وبمجرد النطق بهذه الأفعال فإنَّها تقع، لدرجة أنَّ أفعالاً منها تقع وإن كان المتكلم هازلاً بكلامه[1]، فهي تُحدِثُ تغييراً في الوضع القائم بمجرد النطق بها[2]، فما كان قبلها ليس كما هو حاصل بعدها، وبذلك فإنَّها تقتضي عرفاً غير لغوي، وفي نص نزار قبَّاني نقعُ على نماذج عديدة منها، فمن القرارات الرسَّميَّة ما جاء في نصِّهِ "خَبَرٌ ثقافيٌّ":

((هذا بلاغٌ من بَلاطِ صاحب الجلالَهْ:

الأَخْضَرِ اليَدَينِ.. والمُكتَمِلِ الصِّفاتِ.. والمُبجَّلِ الأَلقَابْ.

تَحَسُّساً مِن ملكِ الملوكْ

بحاجةِ الشَّعبِ إلى العَدالَهْ ..

والخُبْز .. والثيابْ ..

فقد رَسَمْنَا ما يلي:

يُطْلَبُ من وزارة التِّجارَهْ

أنْ تمنعَ استيرادَ أيّما كتابْ

وتُقنِعَ التُّجَّارَ أنْ يستورِدُوا النِّخَالَهْ ..))[3]

---

[1] _ تداولية الأفعال الكلاميَّة في ضوء تصنيف جون سيرل "شعر الطغرائي نموذجاً"، علي سالمى & مصطفى المحياوي ، مجلة بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات بجامعة أصفهان (خريف وشتاء 1446ه / 1403 ه.ش)، العدد 31، ص153

[2] _ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص52

[3] _ الأعمال السياسية الكاملة، نزار قبَّاني، الجزء السادس، ص205

فهذا النَّص يُمثِّل قراراً رسمياً صادراً عن سموِّ الملك، ويبدو أنَّ الأفعال الكلاميَّة الإعلانيَّة تتواردُ على ثلاث مراحل تِباعاً في النَّص وفق الآتي:

1_ الإخبار بأنَّهُ بلاغٌ ملكيٌّ في السَّطر الأوَّل.

2_ دوافع الملك إلى إصدار القرار في السطر الثالث والرابع والخامس.

3_ فحوى القرار ومضمونهُ في الأسطر السادس والسابع والثامن والتاسع.

فقد تضمَّنت الأفعال القوليَّة في هذه المراحل الثلاث أفعالاً إنجازيَّةً إعلانيَّةً؛ إذ أعلنَ الشاعر بدايةً أنَّ البلاغ صادرٌ عن الملك، ثم أعلن عن أسباب صدور القرار وهي إحساس الملك بمعاناة شعبه وحاجتهم إلى أساسيات الحياة وهي الخبز والثياب، ثمَّ أعلنَ أخيراً عن مضمون البلاغ فهو ينصُّ على منع استيراد وزارة التجارة للكتب، وإقناع التُّجَّار باستيراد المواد الغذائية وغيرها من متطلبات الحياة.

إلَّا أنَّ الشاعر القباني المعروف بمناهضته للحكام واستبدادهم لم يقصد فعلاً من نصِّه هذا إعلان مرسومٍ ملكيٍّ سواءً أكان حقيقيَّاً، أم كان من صناعة مخيِّلته، وإنَّما قصد من هذه الأفعال الإنجازية الإعلانيَّة التَّصريحيَّة أفعالاً تأثيريَّةً أخرى، وهي الاستهزاء بالملك من خلال الأوصاف التي أسبغها عليه في السطر الثاني، فهذه الصفات تتراءى لعامة الشعب لكنَّ الحقيقة هي النَّقيض، كما قصد استنكار غطرسة الملك وغباء الشَّعب من خلال ما أورده لاحقاً من أنَّ سبب إصدار القرار هو شفقة الملك على شعبه وإحساسه بمعاناتهم وحاجاتهم لأساسيَّات الحياة، كذلك قصد فضح الملك من خلال ما أورده في نص القرار أخيراً من جهة منع استيراد الكتب حتى لا يستنير الشعب ويصحو من غفلته، والسماح للتجار فقط باستيراد المواد الأساسية كالأغذية والملابس وهذا جانب من جوانب سخرية الملك من شعبه، فهو ينظر إليهم كالقطيع بحاجة للطعام لكنه ليس بحاجة لليقظة والفكر، وبهذا يتَّضح أنَّ ظاهر النَّص مرسومٌ ملكيٌّ صدر انطلاقاً من حب الملك لشعبه، لكنَّ باطنه يُعرِّي الحقائق ويكشف زيفها، فيفضح غطرسة الملك وغباء الشعب ويسعى لإيقاظ الشعب من غفلته.

ومن البلاغات الرَّسميَّة أيضاً ما جاء في نصِّهِ "السيرةُ الذَّاتيَّةُ لسيَّافٍ عربيٍّ":

((أيُّها النَّاسُ:

لقد أصبحتُ سُلْطاناً عليكُمْ

فاكْسِرُوا أصنامكُمْ بعدَ ضلالٍ،

واعْبُدُوني ..

إنَّني لا أتَجَلَّى دائماً

فاجْلِسُوا فوقَ رصيفِ الصَّبْرِ ،
حتَّى تُبْصِرُوني .))[1]

فالنَّصُّ عبارةٌ عن بلاغٍ رسميٍّ من السَّيَّاف إلى الشَّعب يُخبرهم فيه بأنَّهُ أصبح سلطاناً عليهم، وقد جاءت الأفعال القوليَّة في السطر الأوَّل والثاني تحمل قوىً إنجازيَّةً تتضمَّن معنى التَّصريح من خلال الإعلان عن استلام السلطة من قِبَل هذا السَّيَّاف، كما جاءت الأفعال القوليَّة في بقية النَّص تحملُ قوىً إنجازيَّة تتضمَّن التّصريح بعظمة هذا السلطان، فمنزلته الرَّفيعة تستوجبُ الطاعة العمياء، ولقاؤهُ أمرٌ نادرٌ يستوجب الاحتمال والصَّبر، إلَّا أنَّ ديدن الشاعر في هذا النَّص شأنه شأن معظم نصوصه، إذ لم يقصد من أفعالهِ الكلاميَّة التَّصريحيَّة الإعلانيَّة هنا مجرد إعلان نص البلاغ الرسمي بتولِّي هذا السَّيَّاف السلطة وإظهار عظمتهِ، بل قصدَ فعلاً تأثيريّاً في المتلقِّي مفاده استنكار غطرسة الحكام وضعف الشعب وانقياده الأعمى لهم من جهة، وتحريض الشعب للثورة عليهم من خلال فضح غطرستهم من جهةٍ أخرى.

ومن الإعلانيات في نص نزار قبَّاني تصريحه بهزيمة حزيران عام 1967 م في قصيدته "هوامش على دفتر النَّكسة 1967":

((أنعي لكمْ ، يا أصدقائي ، اللغةَ القديمهْ ..
والكُتُبَ القديمَهْ..
أنعي لكمْ
كلامَنا المثقوبَ كالأحذية القديمَهْ..
ومُفْرداتِ العهرِ ، والهجاءِ ، والشَّتيمهْ
أنعي لَكُمْ ..
أنعي لَكُمْ ..
نهايةَ الفكر الذي قادَ إلى الهزيمهْ ..))[2]

فالشَّاعر يُعلن في نصِّه هذا عن هزيمة حزيران عام 1967 م من خلال الفعل القولي "أنعي لكم" الذي كرَّرهُ أربع مراتٍ مُعبِّراً من خلاله عن أفعالٍ إنجازيَّةٍ تصريحيَّةٍ تتضمن معنى الهزيمة وتوحي بها، فهو إذ ينعي اللغة القديمة، والكتب القديمة، والكلام المثقوب ومفردات العهر والهجاء والشتيمة والفكر العربي،

[1] _ المرجع نفسه، ص269

[2] _ المرجع نفسه، ص473

فهو لا يرثي هذه الأشياء وإنَّما يستنكرها رافضاً واقع المجتمع العربي الذي ساق العرب إلى هذه الهزيمة، ساعياً من خلال إعلان نعوة هذه المرثيّات إلى التَّأثير في الإنسان العربي علَّهُ يُغيِّرُ واقع أمَّته فتستحيل الهزيمةُ نصراً.

9_ نتائج البحث:

1_ يتَّضح من خلال تصنيفات أوستن وسيرل أنَّ بإمكاننا تطوير نظرية الخبر والإنشاء، من خلال إعادة تصنيف التراكيب الخبرية والإنشائية وأغراضها ووضعها في قالبٍ جديدٍ يجمع بين الدراسة البلاغية العربية والدراسة التداولية الغربية، فتقسيمات أوستن للأفعال الكلامية إلى أفعال إخبارية وأدائية تتوافق مع تقسيمات التراثيين العرب للتراكيب إلى خبرية وإنشائية؛ من جهة كون الأفعال الإخباريَّة والتراكيب الخبريَّة يمكن وصفها بأنَّها صادقة أو كاذبة، والأفعال الأدائيَّة والتراكيب الإنشائيَّة لا يمكن وصفها بأنَّها صادقة أو كاذبة، كما أنَّ التراكيب الخبريَّة تندرج ضمن ما أسماه سيرل الإخباريات والالتزاميَّات والتَّعبيريات والإعلانيَّات، كما تندرج التراكيب الإنشائيَّة ضمن ما أسماه سيرل التَّوجيهيَّات، وبذلك فإنَّ التراكيب الخبرية أكثر تفنيداً لدى سيرل، في حين أنَّ التراكيب الإنشائيَّة أكثر تفنيداً لدى البلاغيين العرب.

2_ يتوافق التقسيم النهائي للفعل الكلامي لدى أوستن مع التراكيب الخبرية والإنشائية وأغراضها البلاغيَّة لدى التراثيين العرب، ففعل القول (الفعل اللغوي) لدى أوستن يتوافق مع التراكيب الخبرية والإنشائيَّة، وما عهدناها من أغراض بلاغية لدى البلاغيين العرب نراها بشكلٍ مشابهٍ لدى أوستن مُوزَّعة وفق تصنيفين هما: "الفعل الإنجازي /الفعل المُتَضَمَّن في القول" وهو الغرض الإنجازي الناجم عن الفعل القولي، و"الفعل التَّأثيري /الفعل الناتج عن القول" وهو تأثير الفعل الإنجازي في المتلقي، وبهذا يتميَّز تصنيف أوستن عن تصنيف البلاغيين العرب في مراعاته حال المتلقِّي في التصنيف الثالث خصوصاً، في حين وردت الأغراض البلاغية للتراكيب من دون تخصيص لدى التراثيين العرب، ليبدو تصنيف أوستن مجرَّد إعادة تصنيف لتلك الأغراض البلاغيَّة. وربَّما تتأتَّى هذه المفارقة بين الدراسة العربية والغربية بسبب عناية الدراسات العربية بالمعاني والدلالات أكثر من الجانب التَّواصلي بحدِّ ذاته عند

تحديد الأغراض، في حين ركَّزت الدراسات التَّداولية على الدلالات والتَّواصل وتأثير الأفعال الكلاميَّة في المتلقي عند تحديد القوى الإنجازية وتأثيراتها على المتلقي، وهذا بالتَّأكيد لا يعني إغفالنا عناية البلاغيين العرب بدور المتلقِّي في العملية التواصليَّة، فقد بدت عنايتهم به واضحةً خصوصاً في تقسيم الخبر إلى ابتدائي وطلبي وإنكاري، كذلك في معظم محاور نظرية عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، وإنَّما أردنا أنَّ طريقة التَّقنيد والتَّصنيف للأفعال الكلاميَّة لدى التداوليين الغرب انطلقت من العناية بدور المتلقِّي بشكلٍ أساسي.

3_ في كثيرٍ من النصوص المدروسة لنزار قباني في هذا البحث مثَّلت الأفعال التَّأثيرية المقصد الرئيس للشاعر، وكانت القوى الإنجازية مجرَّد أغراضٍ إنجازيَّةٍ تُعبِّدُ الطريق وتُمهِّدُ السبيل لتحقيق الغاية المرجوة، فلم يكن المقصد المنشود في معظم هذه النصوص هو القوة الإنجازية الكامنة في النصح أو الإرشاد أو التقرير أو الوعد أو السخرية ...إلخ، وإنَّما تمثَّل في تنبيه المتلقِّي وتحريضه لتغيير الواقع والثورة على معطياته ومجابهة الحكام والفاسدين، وهذا جوهر رسالة نزار قباني في ديوانه السياسي هذا، فقد كان رافضاً لواقع الحياة العربية الاجتماعية والسياسية والثقافية، فجاء شعره مُنتقِداً الواقع مُحارِباً إياه بالكلمة الحرة والمعاني الصريحة حيناً، المتوارية حيناً آخر، وكان المتلقي العربي هو المستهدف بشعره هذا.

4_ استبان بالدراسة التحليلية أهمية السياق ومعطيات النص وملابساته وقرائنه في تحديد القوى الإنجازية، والأفعال التَّأثيرية، ومقاصد الشاعر التي غالباً ما كانت تتوارى مُبتعِدةً عن ظاهر القصد، وهنا نلمح مفارقةً حقيقيةً بين الدراسات البلاغية التراثية التي وجَّهت عنايتها المركَّزة نحو الأغراض البلاغية، ولا سيما لدى البلاغيين المتأخرين، وتداولية الأفعال الكلامية التي عُنِيَت خصوصا بالدلالات وتأثيراتها ممَّا ساعدَ في الوقوف على قصدية الشاعر المُتوارِية غير المباشرة في كثيرٍ من المواضع.

5_ استبان بالدراسة التحليلية هيمنة الإخباريات على بقية الأفعال الكلاميَّة الأخرى ولا عجبَ في هذا، فمقصد الشاعر في معظم قصائد ديوانه السياسي نقد الواقع وسلبياته والتحريض على تغييره وهذا يقتضي إخباراً يُوضِّح وجهة نظره ويُوصلها للمتلقِّي.

11_المصادر والمراجع:

_ الأعمال السياسية الكاملة، نزار قبَّاني، منشورات نزار قبَّاني، بيروت، لبنان، الطبعة الثَّانية، 1999م، الجزء السادس.

_ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م.

_ التَّداوليَّة عند العلماء العرب((دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي))، مسعود صحراوي، دار الطَّليعة للطباعة والنَّشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

_ التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتَّوزيع، اللاذقيَّة، الطبعة الأولى، 2007م.

_ استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

_علم النَّص(مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.

_ لحظة ميلاد التَّداوليَّة (نظرية الأفعال الكلاميَّة)، مسعود صحراوي، دار التَّنوير، الجزائر، الطبعة الأولى، 2023م.

ـ المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيّات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، 2002م.

ـ النظريَّة البراجماتيَّة اللسانيَّة (التَّداوليَّة)، د.محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م.

ـ نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويَّة في التراث العربي والإسلامي)، د.هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م.

المجلات والدوريات:

ـ التَّأصيل لأفعال الكلام في التراث اللغوي العربي، حليمة بو الرِّيش، مجلة AL-Andalus Magreb، جامعة cades، إسبانيا، العدد 25، 2018م، الموقع الالكتروني للمقال:
http://portal.amelica.org/ameli/journal/475/4753034005/

ـتداولية الأفعال الكلاميَّة في ضوء تصنيف جون سيرل "شعر الطغرائي نموذجاً"، علي سالمى & مصطفى المحياوي، مجلة بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات بجامعة أصفهان (خريف وشتاء 1446هـ / 1403 هـ.ش)، العدد 31.

ـ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداوليَّة، محمد مدور، مجلة الواحات للبحوث والدِّراسات، العدد 16، 2012م.